أثر الإبدال الصوتي في توجيه المعنى في الدر المصون للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) (دراسة وصفية)

د /محمود عادل الفقى

ملخص البحث

يتوجه هذا البحث لدراسة الإبدال الصوتي الواقع بين الصوامت والصوائت، انطلاقا من القيمة الخلافية للصوت وما ينشأ عنها من وظائف متعددة على مستويات التحليل اللغوي، وإظهار أثره في توجيه المعنى، فقد ترتب على الإبدال في طائفة من المفردات فروق دلالية وصرفية، ففي الدلالة المعجمية أحدث فروقا معنوية دقيقة بين الألفاظ، وفي الدلالة الصرفية وجه البنية إلى صيغة صرفية معينة مشتركة مع صيغ أخرى في ذات البنية، وذلك في ضوء اللسانيات التراثية المتمثلة في تفسير الدر المصون للسمين الحلبي الذي كان واعيا للإبدال وأثره، فقد تتبعه على مستوى القراءات، والسياقين المختلفين مبرزا ذلك الأثر الذي ترتب عليه الإبدال، وكذا الكشف عما تتمتع به لغة القرآن من دقة فائقة في اختيار الأصوات المكونة للألفاظ، ومدى ملائمتها للمحتوى الدلالي الذي أشارت إليه واتساقها مع السياق الذي وردت فيه، وبيان القيم التعبيرية التي تتعانق مع المفردة التي تأتي فيها في ضوء السياق القرآني بحيث إنها لو تغيرت لاختل هذا البناء البياني، والتأكيد على مبدأ أنشأه القدامى يتمثل في مصاحبة الصوت الأقوى للمعنى الأقوى.

الكلمات المفتاحية: (الإبدال الصوتي/ الصوتيات الفونولوجية/ اللسانيات التراثية/ الدر المصون/ السمين الحلبي).

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، حمدًا كثيرًا طيبا مباركا فيه، يليق بعزته وعظمته على واسع فضله، وجزيل عطائه وعظيم هباته.

وأزكى صلواتِ الله وتسليماتِه على المبعوث رحمة للعالمين، نبيِّ الرحمة وإمامِ الهدى سيدنا محمدٍ وعلى آله، وصحبه أجمعين، وعلى جده أبي الأنبياء إبراهيم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإن النص القرآني هو دستور هذه الأمة، ومصدر عزتها وشرفها وفضلها، فهو كتاب هداية وإعجاز، ولما كان بهذه الأهمية فقد حظى بعناية بالغة من لدن علماء الأمة، فحفظوا لفظه وأوضحوا تركيبه، وأبانوا معناه، واستنبطوا أحكامه، ووقفوا على بعض من جوانب تفرده ووجوه أسراره لذلك لا يزال محط درس للناظرين والباحثين، فهو أحق ما تفنى فيه الأعمار، وتشغل به الأذهان.

ولما كان شرف العلم من شرف المعلوم، فإن علم التفسير يعد من أشرف العلوم؛ لأنه يختص بأشرف كتاب وهو القرآن الكريم، ومن بين التفاسير التي عُنيت بدراسة النص القرآني من حيث القراءات، والإعراب، والتصريف، واللغة، والبلاغة، كتاب (الدر المصون) للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) [١]، فقد جاء مؤلفه جامعا لآراء السابقين مناقشا

١-هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود المعروف بالسمين الحلبي لم تسعفنا المصادر عن زمن ولادته، في حين أن المؤرخين لا يختلفون في زمن وفاته، فقد تُوفي في القاهرة سنة ٧٥٦ هـ، وقد تولى فيها ما تولى حتى ذاع اسمه في الوسط العلمي فقد وَلِي تدريس القراءات والنحو في جامع ابن طولون، ووَلِي نظر الأوقاف وناب عن بعض القضاة فيها وعمل بالتدريس في مسجد الشافعي، وله باع طويل في القراءات حيث تولى تدريسها وله كتاب فيها اسمه (شرح الشاطبية)، وله في التفسير كتابان: الأول منهما في عشرين مجلدا، والثاني في عشرة مجلدات وهو الدر المصون الذي بين أيدينا بجانب سعته الثقافية في علمي الأصول والحديث حيث درس الأول في مساجد القاهرة، وأخذ الثاني عن رجاله وبرع في النحو كما يشهد كتابه بذلك، وللاستزادة من ترجمته، ينظر: طبقات المفسرين للداودي، ١٠١/١، وشذرات الذهب ١٧٩/٦، وغاية النهاية، ١٣٨/١، وبغية الوعاة ٤٠٢/١، وحسن المحاضرة ٥٣٦/١، وكشف الظنون، ١٢٢/١، ٧٣٢، ١١٦٦/٢، ١٣٦٦، وهدية العارفين، ١١١/٥، ومعجم المؤلفين ٣٢٩/١، والدرر الكامنة، ٢٤١/١-٢٤٢، ومقدمة تحقيق الدر المصون، ١٦/١-١٩.

لها بين تأييد واعتراض، غنيا بالشواهد النحوية، مليئا بالشواهد النادرة التي لا تقف عليها في غيره من الكتب، مهتما ببيان مفردات اللغة بتحليل عن أصولها واشتقاقها واستعمالاتها، معنيا كذلك بعلم الصرف، فلا يألو جهدا في عرض كل ما قيل في المسألة الصرفية، وما لها وما عليها، مشغولا بتخريج القراءات القرآنية، فمن النادر أن يغفل السمين قراءة ما سواء أكانت شاذة أو متواترة، حاكما على القراءة بما تحتمله من معانٍ بفهم العالم اللغوي ولذلك وقع عليه الاختيار ليكون جانبا تطبيقيا في بحثي.

كما أن الجانب الصوتي يعد ركنا أساسيا في توجيه المعاني، فالبنية الأساسية للغة هي الأصوات التي تجتمع فتتشكل منها الكلمات والجمل، والجانب الصوتي له دور مهم في تشكيل الدلالة، حيث قد يؤدي الانتقال بين وحدتين صوتيتين في كلمة واحدة إلى انتقال المعنى وتوجيهه على مستوى الكلمة ومن ثم إلى توجيه معنى الجملة في السياق.

وهذا الانتقال المترتب عليه توجيه في المعنى يسمى بالإبدال الصوتي، فهو يؤدي إلى إيجاد تغيير دلالي بين كلمتين، وقد نال عناية بعض القدامى الذين مالوا إلى الاقتناع بوجود تناسب بين اللفظ ومدلوله، فقال ابن جني (ت ٣٩٢هـ) "إن كثيرا من هذه اللغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها ألا تراهم قالوا: (قضم) في اليابس و(خضم) في الرطب، وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف" [١].

كذا العلماء المحدثون قد أكدوا وجود علاقات وروابط بين أصوات كثيرة من الكلمات وما تدل عليه، فقسموا الروابط إلى روابط طبيعية ترجع في أساسها إلى محاكاة الأصوات، وارتباط وضعي حيث ترتبط بعض المجموعات الثلاثية من الأصوات ببعض المعاني ارتباطا مطلقا غير مقيد بترتيب فتدل كل مجموعة منها على المعنى المرتبط بها، كيفما اختلف ترتيب الأصوات [٢].

وقد كان اهتمامي في البحث عن مدى الأثر الذي قد يشكله صوت واحد مبدل من غيره في سياق واحد كما في القراءات أو في سياقين مختلفين مع بيان التناسب بين

١ ـ **الخصائص، ٦٥/١.**
٢ ـ **ينظر: فقه اللغة، على وافي، ١٣٦-١٣٨**

الإبدال بين الصوتين، وما يرتبط به من معنى، والتطبيق على ذلك يكون من خلال الدر المصون، فجاء البحث يحمل عنوان **(أثر الإبدال الصوتي في توجيه المعنى في الدر المصون للسمين الحلبي دراسة وصفية)**.

- **أهمية البحث:**

تنبع أهمية البحث من كون الموضوع له تعلق بالنص القرآني الذي له خصوصية وأسرار ومواطن إعجاز، وذاك من خلال تفسير الدر المصون للسمين الحلبي.

وتنبع كذلك من كون الأصوات تمثل العنصر الرئيس، والركيزة الأساسية التي قامت عليها الدراسات اللغوية إذ تعاملت مع النظام اللغوي على أنه مستويات لا تتجزأ أساسها المستوى الصوتي فاللغة في المقام الأول على حد قول ابن جني "أصوات يعبر به كل قوم عن أغراضهم" [1] ويؤدي العمل فيها إلى التطرق إلى بقية مستويات اللغة.

وكذلك تتمثل في استكمال جهود السابقين بإضافة لبنة جديدة لموضوع له أصول وجذور قديمة في كتب اللغة بكل ما هو جديد مما توصل إليه البحث.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

قد بدت لي بعض الأسباب في اختيار موضوع الدراسة منها:

- الكشف عن الأثر الفعال الذي تلعبه الأصوات (الصوائت والصوامت) في تشكيل الدلالات وتوجيه المعاني، ورفع الغموض، وذلك من خلال مجال تطبيقي يتمثل في تفسير الدر المصون للسمين الحلبي.
- كون تفسير الدر المصون أرضا خصبة لكثرة المسائل التي ترتبط بالإبدال الصوتي وعنايته بما ينتج عنه من توجيه في المعنى، وقد قمت بجمعها وتصنيفها إلى مباحث.
- توضيح العلاقة بين الصوت والمعنى ومدى ارتباطهما حيث ترددت كثيرا في كتب اللغة مقولة الصوت الأقوى للمعنى الأقوى والصوت الأضعف للمعنى الأضعف.

١ ـ **الخصائص، ٣٣/١.**

- **منهج الدراسة:**

قد اعتمدت على المنهج الوصفي؛ نظرا لأن البحث قائم على الوصف في الجانب النظري من خلال عرض موجز من كتب القدامى حول الظاهرة محل الدراسة، والجمع للشواهد القرآنية التي ورد فيها الإبدال الصوتي من خلال القراءات أو سياقين مختلفين، مع التحليل الذي يبين كيفية تأثير الإبدال في توجيه المعنى على مستوياته اللغوية في ضوء ما ذكره السمين وأكدته كتب التفسير والمعاجم، واللغة، والصرف.

- **حدود الدراسة:**

تسعى هذه الدراسة للكشف عن الأثر الناتج عن الإبدال الحاصل بين أصوات اللغة الذي ينتج عنه فروق صرفية ومعجمية، دون التطرق للإبدال الذي يكون لأسباب صرفية أو لغوية (لهجية)، في ضوء تفسير الدر المصون للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، بتحقيق الدكتور/ أحمد الخراط، طبعة دار القلم، دمشق.

- **الدراسات السابقة:**

قد وقفت على بعض الدراسات السابقة التي تتصل بموضوعي ومن هذه الدراسات ما يلي:

- أثر الإبدال الصوتي وتغير الضبط الحركي في تنوع المعنى، القراءات القرآنية مثالا د/محمود عراك القريشي، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، ع١١، ٢٠١٢م

وجاءت تلك الدراسة لبيان أثر الإبدال الصوتي بين الصوامت، وتغير الضبط الحركي بين المفردات في توجيه المعنى المعجمي، وذلك في ضوء القراءات القرآنية، وإثبات تكامل القراءات لا تناقضها.

- الاستبدال الصوتي وأثره الدلالي في العربية، د/عبد الكريم بورنان، مجلة الآثر، جامعة قاصدي مرباح، ع ٢٣، ٢٠١٥م.

وفي هذا البحث اعتمد الباحث على دراسة الأثر الاستبدالي للأصوات في العربية بأمثلة مفرقة من صنعه، ثم عمد إلى الاستئناس إلى بعض مواضع القراءات مبينا أثر الاستبدال في الدلالة التركيبية، والصيغ الصرفية.

والفرق بينهما وبين دراستي أنني في دراستي عمدت إلى بيان أثر الإبدال الصوتي على مستوى الصوامت والصوائت في توجيه الدلالة المعجمية والدلالة الصرفية، بأمثلة على مستوى القراءات وأمثلة على مستوى السياقين المختلفين اللذين ورد فيهما أثر الإبدال، وذلك في جانب تطبيقي محدد متمثل في تفسير الدر المصون، للكشف عن جهود السمين الحلبي في إبراز تلك الظاهرة وما ينتج عنها من دلالات.

- **هيكل البحث:**

قد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة يليها ثبت المصادر والمراجع.

المقدمة: وفيها قيمة الدراسة، وأسباب اختيار للموضوع، وأهميته، ومنهجيته، وحدوده والدراسات السابقة، وهيكله.

أما **التمهيد:** فقد أشرت فيه إلى التعريف بالإبدال الصوتي وأنواعه، ثم مباحث الدراسة:

المبحث الأول: أثر الإبدال الصوتي في توجيه الدلالة المعجمية:

أولا: أثر الإبدال بين الصوامت:

- الإبدال في فاء الكلمة.
- الإبدال في عين الكلمة.
- الإبدال في لام الكلمة.

ثانيا: أثر الإبدال بين الصوائت:

- الإبدال بين الضمة والكسرة.
- الإبدال بين الضمة والفتحة.
- الإبدال بين الكسرة والفتحة.

المبحث الثاني: أثر الإبدال الصوتي في توجيه الدلالة الصرفية:

- **أثر الإبدال بين الصوائت:**
- **الإبدال بين الكسرة والفتحة:**

الإبدال بين الكسرة والفتحة في توجيه الدلالة بين اسم الفاعل والمفعول.

الإبدال بين الكسرة والفتحة في توجيه الدلالة بين اسم الفاعل والآلة.

الإبدال بين الكسرة والفتحة في توجيه الدلالة بين اسم الفاعل والمصدر.

الإبدال بين الكسرة والفتحة في توجيه الدلالة بين المصدر وجمع التكسير.

- **الإبدال بين الضمة والفتحة:**

الإبدال بين الضمة والفتحة في توجيه الدلالة بين المصدر وصيغة المبالغة.

الإبدال بين الضمة والفتحة في توجيه الدلالة بين الاسم والمصدر الدال على المرة.

الإبدال بين الضمة والفتحة في توجيه الدلالة بين الاسم والفعل.

الإبدال بين الضمة والفتحة في توجيه الدلالة بين الفعل المبني للمجهول وللمعلوم.

الإبدال بين الضمة والفتحة في رد الفعل المضارع إلى الماضي بين (فَعَل/ أفعل).

ثم **الخاتمة** التي تضمنت النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، ثم **ثبت المصادر والمراجع**.

وبعد فإنني أستأنس بقول القائل: إني رأيتُ أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومهِ إلا قال في غَدِهِ: لوُ غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحَسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل وهذا أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر، فإنني إن وفقت في محاولتي في هذا البحث فبفضل من الله وتوفيقه، وإن لم أوفق فحسبي أنني اجتهدت، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

تمهيد:
مفهوم الإبدال الصوتي وأنواعه وأثره

تتألف بنية الكلمة في العربية من مجموعة من الصوامت والصوائت [١]، يؤدي بها معنى معين كأن يكون دلالة معجمية خاصة أو وحدة صرفية معينة.

وقد عرفت اللغة مجموعة من الصوامت القريبة من بعضها في المخارج والصفات بحيث إذا أحل واحد منها محل الآخر في بنية الكلمة أدى ذلك إلى تغير في الدلالة، كما امتازت تلك اللغة في طائفة من البُنى بمرونة وقدرة على التنوّع في دلالة البنية الواحدة على معانٍ معجمية أو صرفية، من خلال حدوث تغير بإحلال أحد صوائتها بآخر، فيكون هذا الإحلال في المباني دليلاً على اختلاف المعاني [٢].

وذلك التغير بإحلال أحد الصوائت أو الصوامت محل الآخر يشار إليه بمصطلح الإبدال الصوتي الذي يمكن تعريفه بأنه: "جعل صوت مكان صوت غيره في بعض الكلمات مع بقاء الأصوات الأخرى" [٣]، أو هو: عملية تقتضي وضع صوت أو مقطع لغوي مكان صوت أو مَقطع لغوي آخر في كلمة واحدة، بما يؤدّي إلى تغيّر في دلالتها، وتقع هذه العملية في الصوامت المتقاربة والمتباعدة وكذلك الصوائت، وتقوم على فكرة المغايرة والمخالفة [٤]، وتلك القدرة على التمييز بين دلالات الكلمات لا يستمد

١- الصوامت: هي الأصوات اللغوية التي تحدث نتيجة احتكاك في مكان ما من جهاز النطق وهي الأحرف الصحيحة في العربية أما الصوائت: فهي الأصوات اللغوية التي تحدث عند خروج الهواء حرّاً بلا احتكاك إلى خارج الفم، وهي على قسمين، صائت قصير: ويراد به الحركات الثلاث (الفتحة والضمة والكسرة)، وصائت طويل: وهي حروف العلة (الألف، والواو، والياء)، ينظر الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس، ٢٦، ١٥٦، وعلم الأصوات، كمال بشر، ١٤٩، وقاموس علم اللغة، ٢٠٣-٢٣٢، ٨٥٩.

٢- ينظر: معاني النحو، ١١/١.

٣- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، ٢٢٨، وينظر: معجم علم الأصوات، ٩، ومعجم الصوتيات، ١٣.

٤- ينظر: علم الأصوات العام، بسام بركة، ١١٠، ومن أسرار اللغة، ٦٨، والدراسات اللغوية عند العرب، ٤٠٧، واللغة العربية معناها ومبناها، ٦٧.

من النظر إليها كونها أصواتاً مفردة لكن بالنظر إليها على أنّها مقابلات استبداليّة يحلّ أحدها محلّ الآخر، محدثا تغييرا في دلالة كلتا اللفظتين المتبادلتين في أصواتهما [١].

وبحث اللغويون القدامى ظاهرة الإبدال الصوتي بوصفها من سنن العرب في كلامها [٢] فأشاروا إليها ومثلوا لها [٣]، وأوصل بعضهم عدد الأصوات المبدل منها إلى اثنين وعشرين صوتا [٤] ومنهم من أفرد لها المؤلفات ككتاب (الإبدال لابن السكيت) و(الإبدال لأبي الطيب اللغوي).

وعدوا تلك الظاهرة لغوية، حيث لم يتفق علماء العربية القدامى على عدها ظاهرة صوتية كما هو الحال مع المحدثين؛ إذ لم يشترطوا أن يكون الصوتان المبدلان على قرب المخرج، ومنهم من اشترط ذلك، فرأوا أن الإبدال هو: اتفاق الكلمتين في المعنى وجميع الأصوات عدا صوت واحد له موضع الترتيب نفسه في الكلمتين مثل (آجم وآجن) اللتين تختلفان في صوت الميم والنون، والغالب على الإبدال أن يكون بين صوتين مشتركين في المخرج أو الصفة [٥].

ومصطلح الإبدال من مصطلحات الخليل، فهو أول من أشار إليه ومثل له [٦] وذكره سيبويه أثناء حديثه عن الأصوات التي يبدل منها غيرها كحديثه عن الهمزة قائلا "اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء، التحقيق والتخفيف والبدل" [٧].

١- ينظر: علم اللغة العام، كمال بشر، ٢٠١، ٢٠٤-٢٠٥.
٢- ينظر: الصاحبي، ٣٣٣، ومقاييس اللغة، ٣٧٢/٣، والمزهر في علوم اللغة، ٤٦٠/١.
٣- ينظر: العين، ٧٥/١، ١٤٨، والكتاب، ١١٧/٤، ١٣٣، ٢٣٧-٢٤١، ٣٠٥-٣٠٧، ٤٧٨ ٤٨٣، والمقتضب، ١٩٩/١، وسر صناعة الإعراب، ٦٢/١-٦٣، ١٤٥-١٥٧، وشرح المفصل ٧/١٠-١٨، ٣٣، ٣٦، ٤٢، ٤٥.
٤- ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد، ٨٦/٤، وشرح ابن عقيل، ٢١٠/٤، وشفاء العليل ١٠٨٠/٣، وهمع الهوامع، ٢٥٦/٦.
٥- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ٢٢٨.
٦- ينظر: العين، ٧٥/١.
٧- ينظر: الكتاب، ٥٤١/٣.

- **<u>أنواع الإبدال:</u>**

ويمكن أن يتم تقسيم أنواع الإبدال على النحو الآتي:

أ- **<u>الإبدال الصرفي:</u>** هو الإبدال الصوتي الواقع في التصريف وقد أشار إليه النحاة في كلمة (طويت دائما) [١]، وأسموه بالإبدال الشائع، وقد وسعوا من شأنه حتى شمل الإعلال والقلب، وقسموه إلى سماعي وقياسي [٢]، وسمي كذلك بالإبدال النحوي [٣]

ب- **<u>الإبدال الصوتي:</u>** يمكن أن يعرف بأنه الإبدال الحادث بين أصوات اللغة وليس بسبب اختلاف اللهجات [٤]، ويترتب عليه توجيه في الدلالة، ويحدث بين الصوامت المتقاربة والمتباعدة والصوائت كذلك، وهو موضع البحث، وقد أشار إليه ابن جني (ت٣٩٢هـ) بقوله "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهج ملتئب عند عارفيه مأموم....، ومن ذلك قولهم: (خضم وقضم)، فالخضم: لأكل الرطب كالبطيخ والقِثَّاء وما كان نحوهما، والقضم للصُلب واليابس، نحو: قضمت الدابة شعيرها" [٥].

وهو بذلك يكون أول لغوي يفسر ظاهرة الإبدال بنظرية المخارج، ويتابعه في ذلك السيوطي (ت٩١١هـ) بقوله: "فانظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المتقاربة في المعاني، فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين

١-ينظر: شرح الكافية الشافية، ٢٠٧٧/٤، والمساعد على تسهيل الفوائد، ٨٧/٤، وشرح ابن عقيل، ٢١٠/٤، وأوضح المسالك، ٣٧٠/٤.

٢ - ينظر: من أسرار اللغة، ٧١، وينظر: معجم الصوتيات، ١٣.

٣ - ينظر: مقدمة تحقيق الإبدال، ٨/١.

٤-حيث قد يحدث إبدال بين الأصوات في اللغة نتيجة اختلاف اللهجات، أي صورة من الصور كانت شائعة في بيئة، وكانت الصورة الأخرى شائعة في بيئة أخرى في المستوى اللغوي العربي الموحد، وهذا الإبدال لا يترتب عليه اختلاف الدلالة فالمعنى الواحد، ينظر: من أسرار اللغة، ٧٤، وفي الأصوات اللغوية، ٢٩٨. وهذا ما قام عليه كتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي، فقال: "ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعانٍ متفقة تتقارب اللفظان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفان إلا في حرف واحد، والدليل على ذلك بأن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة (طورًا) مهموزة، ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون، ينظر: مقدمة تحقيق الإبدال، ١٣-١٤، والمزهر في علوم اللغة، ٤٦٠/١

٥ - الخصائص، ١٥٧/٢، والمزهر في علوم اللغة، ٥٠/١، وينظر: المحتسب، ١٩/٢.

والأخفى والأسهل لما هو أدنى وأقل وأخف عملا أو صوتا، وجعلت الحرف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملا وأعظم حِسًّا؛ ومن ذلك المد والمط، فإن فعل المط أقوى؛ لأنه مد وزيادة جذب؛ فناسب الطاء التي هي أعلى من الدال" [١].

وقد آثرت استخدام مصطلح (الإبدال)؛ مع وجود مصطلحات أخرى له؛ لأنه مصطلح ثابت أصيل معروف عند القدامى، وكان عنوان مؤلفات قديمة، مع بيان أثره في تغير الدلالة تناسبا مع النص، كما آثرت استخدام مصطلح (الصوتي) تمييزا له وتوضيحا بأنه ليس (الإبدال الصرفي/ النحوي) بجانب كونه حاصلا بين الأصوات فجاء المسمى مناسبا.

- **<u>أثر الإبدال الصوتي في توجيه الدلالة:</u>**

يربط الإبدال الصوتي في الأساس المخالفة الصوتية بالمعنوية، فالتغيّر الدلالي يحدث بموجب قيم صوتيّة مختلفة تجعل تغيّر الدلالة وفقاً لتغيّر الصوت والفرق بين الدلالات يكون بعلامات تختصّ كلّ منها بمعنى وتكون دالة عليه، وتلك العلامات قد تكون صوتا أو حركة [٢].

ولذلك يعد من الوسائل التي تُعين اللغة على تنويع مفرداتها والتفريق بينها لتكون أداة تفاهم وتعبير صالحة بإجراء التبادل بين أصواتها بأن تغيّر صور بنية الكلمات فتتغيّر دلالاتها.

وقد انتبه السمين إلى ظاهرة الإبدال الصوتي بين المفردات في تفسيره؛ إذ تبيّن ذلك من خلال وقفاته عند الألفاظ التي اختلفت دلالتها باستبدال صوت معين فيها بآخر مشيراً إلى أثر ذلك الاختلاف في توجيه الدلالة كما سيأتي:

١ ـ المزهر في علوم اللغة، ٥٣/١.
٢ ـ ينظر: الفروق اللغوية في العربية، ٢٣٨ـ٢٣٩، وعلم الأصوات العام، بسام بركة، ١١٠.

المبحث الأول

أثر الإبدال الصوتي في توجيه الدلالة المعجمية

قد يترتب توجيه في الدلالة المعجمية نتيجة استبدال صامت أو صائت محل الآخر في بنية اللفظ مع الإبقاء على بقية أصواته الأخرى على النحو الآتي:

أولا: الإبدال بين الصوامت:

تنوع الإبدال الصوتي بين الصوامت التي تتقارب في المخرج والصفة في طائفة من المفردات حيث وقع في فاء الكلمة وعينها ولامها، على النحو الآتي:

١- **أثر الإبدال في فاء الكلمة في توجيه الدلالة المعجمية:**

وورد أثر الإبدال في فاء الكلمة في توجيه دلالتها المعجمية من خلال القراءات أو مجيئها في سياقين مختلفين في النص القرآني على النحو الآتي:

- **أثر الإبدال بين الضاد والظاء:**

بالرغم من اختلاف مخرج صوتي الضاد والظاء، فالضاد شجرية [١]؛ لأن مبدأها من شجر الفم والظاء لثوية؛ لأن مبدأها من اللِّثة [٢]، إلا أنهما اتفقا في الجهر والإطباق، والاستعلاء والرخاوة [٣]، والإصمات [٤].

وقد أكد كثير من علماء اللغة القدامى على صعوبة نطق الضاد، وفي ذلك السياق يقول ابن الجزري (ت٨٣٣هـ): "وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله، فإن

١- شجر الفم: أي مفرج الفم وهو ما انفتح ما بين اللحيين، ينظر: القاموس المحيط، ٤١٤، واللحيان هما حائطا الفم وهما العظمان اللذان تنبت عليهما الأسنان السفلية ويجتمع مقدمها في الذقن ومؤخرها عند الأذنين، والجيم والشين والضاد أصوات شجرية ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، ٤٤٤/٣، ولسان العرب، ٢٤٣/١٥، (ل، ح، ي).

٢- العين ٥٨/١، وشرح المفصل، ١٢٨/١٠، وينظر تفصيل مخرج الحرفين في: الكتاب، ٤٣٣/٤، والمقتضب، ٣٢٩/١، وسر صناعة الإعراب، ٤٧/١، ومخارج الحروف وصفاتها، ٨١-٨٢، والكشاف، ٣٢٧/٦، وشرح المقدمة الجزرية، ٣٧، ٤١-٤٢، والأصوات اللغوية، ٤٩-٥٣ والمختصر في أصوات اللغة العربية، ١١٢، ١٣١.

٣- ينظر: مخارج الحروف وصفاتها، ٨٥-٨٩، وشرح المقدمة الجزرية، ٤٧-٥٠ والمختصر في أصوات اللغة العربية، ٥٦-٦٤.

٤- ينظر: شرح المقدمة الجزرية، ٥١، والمختصر في أصوات العربية، ٦٥.

ألسنة الناس فيه مختلفة، وقل من يحسنه" [١]، ولعل نتيجة ذلك أُبدلت الضاد بمجموعة من الأصوات القريبة منها، ومنها الظاء، وهذه القضية ليست بجديدة، بل أورد القدامى روايات خُلط فيها بين الصوتين، بل امتد إلى الكتابة [٢].

ومن ذلك الخلط الصوتي ما ذكره أبو الطيب اللغوي (ت٣٥١ هـ) أن (الضاد والظاء) من حروف الإبدال، فذكر عن اللحياني (ت٢٢٠هـ) أنه يقال "فاضت نفسه وفاظت أي خرجت" [٣].

وما ذكره ابن خلكان (ت٦٨١هـ) عن ابن الإعرابي (ت٣٤٠هـ): أنه كان يقول: "جائز في كلام العرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاء فلا يخطئ من يجعل هذه موضع هذه، وأنشد" [٤]:

إِلَـى الله أَشْكُو مِـنْ خَلِيلٍ أَودّه ثَـلاثَ خِلَالٍ كـلـهـا لـي غَائِضُ

ويعلق ابن جني (ت٣٩٢هـ) على ذلك بقوله "أراد (غائظ) فأبدل الظاء ضادًا. ويجوز عندي أن يكون (غائض) غير بدل، ولكنه من (غاضه)، أي نقصه، فيكون معناه أنه ينقصني أو يتهمني [٥].

وأؤيد ما ذهب إليه ابن جني في كون الضاد غير بدل؛ لأن معنى النقصان أو الاتهام أشد في المعنى من الغيظ، وطالما أن السياق يحتمل المعنيين فالحمل على الظاهر أولى من التأويل.

وقد وقع الإبدال الصوتي بين الضاد والظاء مترتبا عليه توجيه الدلالة في قوله تعالى ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ **[التكوير: ٢٤].**

يقول السمين: "قوله: **{بِضَنِينٍ}:** قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء بمعنى: مُتَّهم مِنْ ظنَّ بمعنى اتَّهم فيتعدَّى لواحدٍ. وقيل: معناه بضعيفِ القوةِ عن التبليغ مِنْ قولِهم (بئرٌ

١- النشر في القراءات العشر، ٢١٩/١، وينظر: الكشاف، ٣٢٧/٦.
٢- علم الأصوات، كمال بشر، ٢٦٤.
٣- الإبدال، ٢٦٧/٢.
٤- وفيات الأعيان، ٣٠٧/٤، وينظر: سر صناعة الإعراب، ٢١٥/١.
٥- سر صناعة الإعراب، ٢١٥/١.

ظَنُوْنٌ)، أي قليلةُ الماءِ. وفي مصحفِ عبد الله كذلك، والباقون بالضاد بمعنى: ببخيلٍ بما يأتيه من قِبَلِ ربِّه" [١].

مما سبق يتضح أن الإبدال الواقع بين صوتي الضاد والظاء جاء مؤثرا في توجيه الدلالة، ففرق السمين بينهما معنويا، وذكر أن (الظنين) بمعنى ضعيف القوة، أو المتهم بالتبديل والإخفاء والإزالة، ومن ظن الاتهام قوله تعالى: **{بَل ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالمُؤْمِنُونَ إِلى أَهْلِيهم أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُم ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُم قَوْمًا بُورًا}** [الفتح: ١٢]، وقوله تعالى: **{وَذَلِكُم ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُم أَرداكُم فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الخَاسِرِينَ}** [فصلت: ٢٣]، وذكر أن (الضنين) بمعنى البخيل الذي يضن بالوحي ويكتمه كما الكاهن إلا بإعطائه المُكافأة والحلوان، ومن الضن بمعنى البخل قول الشاعر [٢]:

أَلا أَصْبَحَتْ أَسماءُ جاذِمةَ الحَبْلِ وضــنَّتْ عــلَيَّنَا وَالضــنِينُ مِــنَ البُخْــلِ

وكل تلك المعاني منفية عن النبي ﷺ فهو غير متهم عند الله ﷻ، بل مؤتمن على رسالته، وغير ضعيف على أداء الأمانة. وغير بخيل بتعليم ما علمه الله ﷻ وأنزله إليه فانتفي عنه الأمران بالجمع بين القراءتين.

- **<u>أثر الإبدال بين الفاء والقاف:</u>**

الفاء شفوية؛ لأن مخرجها من الشفة، والقاف لهوية لأن مخرجها من اللهاة [٣]

١- الدر المصون، ٧٠٧/١٠، وينظر: العين، ١٠/٧، والمحيط في اللغة، ٤٣٤/٧، ١٢/١٠ ومفردات ألفاظ القرآن، ٥١٢، ٥٤٠، والمحكم والمحيط الأعظم، ١٥٦/٨، ٩/١٠، والكشاف ٣٢٧/٦، والبحر المحيط، ٦٠٦/٨، ولسان العرب، ٢٦١/١٣، ٢٧٤، والمعجم الاشتقاقي، ٨٣٨ ٨٨٤، (ض، ن، ن)، (ظ، ن، ن).
٢- البيت منسوب إلى البعيث (خداش بن بشر) من بحر الطويل، ينظر: الخصائص، ٢٠٢/٢ والمحكم والمحيط الأعظم، ١٥٦/٨، ولسان العرب، ٢٦١/١٣ (ض، ن، ن).
٣- العين، ٥٨/١، وشرح المفصل، ١٢٤/١٠-١٢٥، وينظر تفصيل مخرج الصوتين في: الكتاب ٤٣٣/٤، والمقتضب، ٣٢٩/١ ٣٣٠، وسر صناعة الإعراب، ٤٧/١-٤٨، ومخارج الحروف وصفاتها، ٨١/١-٨٣ وشرح المقدمة الجزرية، ٣٦، ٤٣، والأصوات اللغوية ٤٨، ٧٣-٧٤ والمختصر في أصوات اللغة العربية، ٩٣، ١٣٥.

قد تباعدتا في المخرج واتفقتا في صفة الانفتاح [١] والإصمات [٢]، وعدهما أبو الطيب اللغوي من حروف الإبدال فنقل عن الأصمعي (ت ٢١٦هـ) "الزحاليف والزحاليق آثار تزلج الصبيان من فوق طين أو رمل أو صفا" [٣].

جاء الفصم في قوله: ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

كما جاء القصم في قوله: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ [الأنبياء: ١١].

وقد فرق السمين بينهما فقال: "والانفصامُ –بالفَاءِ– القَطْعُ من غير بَيْنُونة والقصمُ –بالقافِ– قَطْعُ بينونةٍ، وقد يُستعمل ما بالفاءِ مكانَ ما بالقافِ" [٤].

فبهذا الإبدال الصوتي بين الفاء والقاف توجه المعنى، ففرق السمين بين اللفظين، وإن كانا متفقين في المعنى العام وهو الكسر أو القطع [٥]، فذكر أن (الفصم) انصداع الشيء من غير أن يظهر هذا الأثر وذكر أن (القصم) هو الكسر بإبانة الأجزاء المكسورة، وإزالة تأليفها بالكلية، ولعل ذلك دليل على قوة الغضب وشدة السخط؛ لأن القصم أفظع الكسر، فهو"الذي لا يرجى بعده التئام أو انتفاع" [٦]، أو هو "عبارة عن الهلاك، ويسمى الهلاك قاصمة الظهر" [٧].

وربما اتفق صوت القاف الشديد مع الكسر الشديد الذي يكون مع الدق والإبانة وقوة الكسر لما فيه من الشدة والجهر، فتناسب مع (القصم)، ويؤكد ذلك ما استشعره أ/حسن عباس أن في صوت القاف أحاسيس لمسية من القساوة والصلابة والشدة، وأحاسيس

١- ينظر: مخارج الحروف وصفاتها، ٨٩، وشرح المقدمة الجزرية، ٥٠، والمختصر في أصوات اللغة العربية، ٦٣-٦٤.
٢- ينظر: شرح المقدمة الجزرية، ٥١، والمختصر في أصوات اللغة العربية، ٦٥.
٣ - الإبدال، ٣٣٧/٢.
٤- الدر المصون، ٥٤٩/٢، وينظر: المحيط في اللغة، ٢٧٨/٥، ١٦٣/٨، والمحكم والمحيط الأعظم، ٢١٩/٦، ٣٤٦/٨، ولسان العرب ٤٥٣/١٢، ٤٨٥، وتاج العروس، ٢٠٨/٣٣، ٢٨٠ والمعجم الاشتقاقي، ١٠٧١ -١٠٧٢، ١١٤١-١١٤٢، (ف، ص، م) (ق، ص، م).
٥- ينظر: المحيط في اللغة، ٢٧٨/٥، ١٦٣/٨، والمحكم والمحيط والأعظم، ٢١٩/٦، ٣٤٦/٨ ولسان العرب، ٤٥٣/١٢، ٤٨٥ والقاموس المحيط، ١١٤٥، ١١٥٠، وتاج العروس، ٢٠٨/٣٣ ٢٨٠، (ف، ص، م)، (ق، ص، م).
٦ - التحرير والتنوير، ٢٥/١٧.
٧- مفردات ألفاظ القرآن، ٦٧٣.

بصرية، من فقاعة تنفجر، أو فخارة تتكسر [١]، وعلل ابن جني (ت ٣٩٢هـ) وجود القاف في (القضم) لأكل اليابس نظرًا لصلابة الصوت ولفظة (الخضم) لأكل الرطب [٢].

غير أن الفاء ذلك الصوت المهموس الرخو الضعيف جاء مع اللفظ الذي يدل على الانصداع من غير إبانة فكان انثناء من غير انفصال فجاء متناسبا مع الفصم، وأشار أ/حسن عباس أن انفراج الأسنان العليا عن الشفة السفلى كصورة مرئية يمثل الأحداث الطبيعية التي يتم فيها الشق والفصل والتفريق كما أن خروج صوت الفاء يحاكي الأصوات التي تنطوي على البعثرة، والتشتت والانفراج والتباعد، والتفريق، دونما عنف [٣]، والمقصودُ من استخدام الفصم في هذا السياق المُبالغةُ؛ لأَنّهُ إذا لم يكن لها انفِصَام، فأن لا يكون لها انقطاع أولى، وكأن دقة المعنى تتفق مع جرس الصوت، وكأن هناك اختيارًا مقصودًا للصوت الذي يؤدي المعنى بما لا يؤديه الصوت الآخر.

٢- **<u>أثر الإبدال في عين الكلمة في توجيه الدلالة المعجمية:</u>**

وقد ورد الإبدال في عين الكلمة مؤثرا وموجها دلالتها معجميا في النص القرآني من خلال القراءات أو ورودها في سياقين مختلفين على النحو الآتي:

- **<u>أثر الإبدال بين الدال والذال:</u>**

الدال نِطعية [٤]؛ لأن مبدأها من نِطع الغار الأعلى، والذال لِثوية؛ لأن مبدأها من اللثة [٥]، قد اختلفتا، ولكن اتفقتا في الجهر والانفتاح [٦] والإصمات [٧]، وعدهما

١- خصائص الحروف العربية ومعانيها، ١٤٤.
٢- ينظر: الخصائص، ١٥٨/٢.
٣- خصائص الحروف العربية ومعانيها، ١٣٣.
٤- نِطعية نسبة إلى النطع (بكسر النون) وهو: ما ظهر من غار الفم الأعلى (سقفه)، والمقصود به الجلدة الملتزقة بعظم الخليقاء، فيها آثار كالتحزيز، وهناك موقع اللسان من الحنك والجمع نطوع، ينظر: المحيط في اللغة، ٤٠٦/١، والمحكم والمحيط الأعظم، ٥٤٨/١، (ن، ط، ع).
٥- العين،٥٨/١، وشرح المفصل، ١٢٥/١٠، وينظر تفصيل مخرج الصوتين: الكتاب، ٤٣٣/٤ والمقتضب، ٣٢٩/١، ومخارج الحروف وصفاتها، ٨٢، وشرح المقدمة الجزرية، ٤١- ٤٢ والأصوات اللغوية، ٤٩-٥١، والمختصر في أصوات اللغة العربية، ١٢٥، ١٣١.
٦- ينظر: مخارج الحروف وصفاتها، ٨٧، ٨٩، والمختصر في أصوات العربية، ٥٧، ٦٣.
٧- ينظر: شرح المقدمة الجزرية، ٥١، والمختصر في أصوات اللغة العربية، ٦٥.

أبو الطيب اللغوي من ضمن حروف الإبدال فذكر أنه يقال: "اذْرَعفَّتْ الخيل واذْرَعفَّت إذا أسرعت" [١].

توجهت الدلالة نتيجة الإبدال بين الدال والذال في قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ **[الشعراء: ٥٦].**

حيث ذكر السمين: "قوله: **{حَاذِرُونَ}**: قرأ الكوفيون وابن ذكوان **{حاذِرُون}** بالألفِ والباقون **{حَذِرُوْن}** بدونها،...، وقرأ ابن السّميفع وابن أبي عمار**{حادِرُوْن}** بالدال المهملة،...، والمعنى عظيماً. وقيل: الحادِرُ: القويُّ الممتلئ. وحُكي: رجلٌ حادِرٌ أي: ممتلئ غَيْظًا ورجلٌ حادِرٌ أي: أحمقُ كأنه ممتلئ مِنْ الحَمَقِ، .... فقد صار يُقال: حَذِرَ وحَذُر وحاذر بالدال المعجمة والمهملة، والمعنى مختلف" [٢].

فالدلالة قد اختلفت بهذا الإبدال الصوتي بين الدال والذال، حيث ذكر السمين أن (الحادر) هو المشمر المنفي عنه الخوف والحذر، أو هو الرجل القوي السمين، أو الغليظ الممتلئ لحما وشحما "ويجوز أن يكون المعنى الامتلاء من السلاح" [٣]، فكأنه أراد إنا قوم أقوياء أشداء، أو أراد: إنا شاكون في السلاح والغرض من هذه التقديرات ألا يتوهم أهل المدائن أنه منكسر من قوم موسى عليه السلام أو خائف منهم ومن معنى الامتلاء قولهم عين حدرة، أي عظيمة كقول الشاعر [٤]:

وَعَيْنٌ لَهَا حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ وَشُقّتْ مَآقِيهِمَا مِنْ أُخُزْ

أما الحاذر فهو الحازم المتيقظ المحترز المتأهب للإمساك بقوم موسى عليه السلام، أو المتسلح بشوكة السلاح للنيل من قوم موسى عليه السلام، فهم قوم من عادتهم الحذر واستعمال الحزم، وفي القراءتين يظهر أن فرعون وقومه ليسوا خائفين من موسى عليه السلام وقومه.

١- الإبدال، ٣٥٣/١.
٢- الدر المصون، ٥٢٢/٨-٥٢٤، وينظر: المحيط في اللغة، ٣٥/٣، ٦٥، والمحكم والمحيط الأعظم، ٢٥٤/٣، ٢٨٦، والكشاف، ٣٩٣/٤-٣٩٤، والبحر المحيط ٢٣/٧-٢٤، والنشر في القراءات العشر، ٣٣٥/٢، ولسان العرب، ١٧٢/٤، ١٧٦ (ح، د، ر)، (ح، ذ، ر).
٣- الجامع لأحكام القرآن، ٢٦/١٦، وينظر: القاموس المحيط، ٣٧٣.
٤- البيت لامرئ القيس من بحر المتقارب، ينظر: ديوانه، ١٦٦، والجامع لأحكام القرآن، ٢٦/١٦ والدر المصون، ٥٢٣/٨، ولسان العرب، ١٧٣/٤، (ح، د، ر).

واختصاص الدال بمعاني (الحدر) لعله يرجع لصفة الشدة التي يفيدها الصوت وأكد ذلك أ/عبد الله العلايلي حيث ذهب إلى أن الدال يفيد "التصلب والتغير المتوزع" [١]، ووافقه أ/حسن عباس في ذلك حيث وجد أن الدال ليس فيه أي إيحاء بإحساس ذوقي، أو شمي، أو بصري، أو سمعي، أو شعوري؛ ليكون بذلك أصلح الأصوات للتعبير عن معاني الشدّة والفعالية الماديتين وبخاصة ما يدل على الصلابة والقسوة من الأحاسيس اللمسية [٢].

واختصاص صوت الذال بمعاني (الحذر) ربما يرجع لحركة الاهتزاز التي يفيدها الصوت، وأكد ذلك أ/عبد الله العلايلي حيث ذهب إلى أن صوت الذال تفيد البعثرة والانتشار أو تفيد شدة الاهتزاز والاضطراب [٣]، وأسماه أ/أحمد زرقة بالذبذابة التي من التذبذب أي التردد والتحرك والاهتزاز [٤].

- **<u>أثر الإبدال بين الشين والضاد:</u>**

الشين والضاد شجريتان [٥]؛ لأن مبدأهما من شجر الفم، فاتفقتا في المخرج [٦] وكذا الرخاوة [٧] والإصمات [٨]، وعدهما أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ) من حروف الإبدال فذكر أنه يقال: "رجل شمخز وضمخز إذا كان متكبرًا" [٩].

وقد ورد الخشوع في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ **[البقرة: ٤٥].**

كما ورد الخضوع في قوله تعالى: ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ **[الشعراء: ٤].**

١- مقدمة لدرس لغة العرب، ٢١٠
٢- ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ٦٧.
٣- ينظر: السابق، ٦٦.
٤ - ينظر: أسرار الحروف، ١٠٩.
٥- سبق الحديث عن الحروف الشجرية في الإبدال الصوتي بين الضاد والظاء.
٦- العين ٥٨/١، وشرح المفصل، ١٢٨/١٠، وينظر: تفصيل مخرجهما: الكتاب،٤٣٣/٤، والمقتضب، ٣٢٩/١، ومخارج الحروف وصفاتها، ٨١، وشرح المقدمة الجزرية، ٣٧، والأصوات اللغوية، ٤٩-٥٣، ٦٩، والمختصر في أصوات اللغة العربية، ١٠٤، ١١٢.
٧- ينظر: مخارج الحروف وصفاتها، ٨٨، وشرح المقدمة الجزرية، ٤٨، والمختصر في أصوات اللغة العربية، ٥٧-٥٩.
٨- ينظر: شرح المقدمة الجزرية، ٥١، والمختصر في أصوات اللغة العربية، ٦٥.
٩- الإبدال، ٢٢٣/٢.

ونقل السمين الحلبي الفرق بينهما بقوله: "وفرق بعضهم [١] بين الخضوع والخشوع فقال الخضوع في البدن خاصة والخشوع في البدن والصوت والبصر، فهو أعم منه" [٢].

إذن فإن هذا الإبدال الصوتي بين الشين والضاد له أثر في توجيه الدلالة، فاللفظان وإن اتفقا في المعنى العام وهو اللين والسهولة [٣]، فإنهما قد اختلفا عند التدقيق في مناط اللين.

فالخشوع أعم من الخضوع حيث شمل معنى ظاهرا حسيًّا وباطنا معنويًّا، فيكون في البدن والصوت والبصر وكلها راجعة إلى القلب، كما جاء في السياق القرآني ومن ذلك قوله: **{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُم لِذِكْرِ اللهِ} [الحديد: ١٦]**، وقوله تعالى: **{قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ} [النازعات: ٨-٩]**، حيث أعاد الضمير في البصر على القلوب، فجعل مرجع خشوع البصر للقلب، وقوله تعالى: **{وَخشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} [طه: ١٠٨]**، ومرجع خشوع الصوت هو خشوع القلب أيضا، إذ أصل الخشوع مصدره القلب وتظهر آثاره على الجوارح، فتخفت الأصوات، وتنكسر الأبصار، وربما تذرف الدموع، ودليل ذلك قوله ﷺ **(لو خشع قلبه لخشعت جوارحه)** [٤].

وأما الخضوع فيكون في البدن تعبيرًا عن الذل والانقياد فيقتصر على المعنى الظاهري الحسي وربما يكون عن نفاق أو تقية أو مداراة [٥]، ومن ذلك قوله: **{إِنْ نَّشَأْ نُنَزِّل عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّت أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ} [الشعراء: ٤]**، أي: مذلولين منقادين [٦]، أما

١- كذا جاء في التفسير، ولعل السمين يقصد بكلامه الخليل، حيث قال: "الخضوع في البدن، وهو الإقرار بالاستخدام، والخشوع في البدن والصوت والبصر"، العين، ١١٢/١ (خ، ش، ع).
٢- الدر المصون، ٣٣١/١، وينظر: العين، ١١٢/١، والمحيط في اللغة، ١٢٠/١، والمحكم والمحيط الأعظم، ١٢٧/١، والبحر المحيط ٢٦٥/١، ولسان العرب، ٧١/٨ (خ، ش، ع).
٣- ينظر: البحر المحيط، ٢٦٥/١، والدر المصون، ٣٣١/١، والمعجم الاشتقاقي، ٣٧٣، ٣٧٧ ٣٧٨، (خ، ش، ع)، (خ، ض، ع).
٤- ينظر: تحفة الأحوذي (الحاشية)، باب ما جاء في التخشع في الصلاة، ٣٩٢/٢، رقم الحديث (٣٨٣)، وإرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، كتاب الصلاة، ٩٢/٢-٩٣، رقم الحديث (٣٧٣) وخلاصة القول في الحديث إنه (ضعيف).
٥- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ٢٢٦، وينظر: جماليات المفردة القرآنية، ٧٣.
٦- ينظر: المعجم الاشتقاقي، ٣٧٨ (خ، ض، ع).

قوله تعالى: **{فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ} [الأحزاب: ٣٢]**، فإنه بمعنى لا تلين المرأة القول للرجل على وجه يوجب الطمع [١]، فجاء تعبيرًا عن إلانة الكلام.

فالسياق القرآني زاد من الفرق بينهما، فجعل دلالة الخشوع دلالة شريفة منبعها القلب واستعملت في العبادة، وأدب العبد مع ربه، في حين أنه جعل الخضوع شيئا مستهجنا قبيحا مستعملا في شخص الإنسان إما يحُمل به نفاقا، أو بمعنى الذل والانقياد، أو حكاية على البدن من تطامُعٍ وتوضُّعٍ.

وتناسب صوت الشين لمعاني (الخشوع) ربما يرجع لصفة التفشي والانتشار التي يفيدها الصوت وإلى ذلك ذهب أ/عبد الله العلايلي حيث ذكر أن الشين يدل على التفشي بغير انتظام [٢]، ووافقه أ/حسن عباس فيرى أن "بعثرة النفَس أثناء خروج الصوت يماثل الأحداث التي تتم فيها البعثرة والانتشار والتخليط" [٣]، فكأن الخشوع يبدأ من القلب وينتشر في كافة الجوارح، فضلا عن الهمس والرخاوة والاستفال، فكأن عمل القلب خفي هادئ يتسرب بهدوء داخل النفس فتنشرح له.

أما تناسب صوت الضاد لمعاني (الخضوع) فقد يرجع إلى صعوبة نطق الضاد حيث تحمل كل صفات الشدة والقوة كالجهر والاستعلاء والإطباق والإصمات فكأنها تناسبت مع صفات القهر والإذلال والاستكانة بالقوة، يؤكد ذلك ما ذكره أ/ عبد الله العلايلي في معنى صوت الضاد أنه يشبه "الغلبة تحت الثقل" [٤]، وذكر أ/حسن عباس أنه في حالة التفخيم "يوحي بالصلابة والشدة" [٥].

٣- **<u>أثر الإبدال في لام الكلمة في توجيه الدلالة المعجمية:</u>**

وكذلك ورد الإبدال في لام الكلمة مؤثرًا في دلالتها المعجمية في النص القرآني من خلال القراءات أو ورودها في سياقين مختلفين على النحو الآتي:

١- ينظر: معاني القرآن للنحاس، ٣٤٥/٥.
٢- مقدمة لدرس لغة العرب، ٢١٠.
٣- خصائص الحروف العربية ومعانيها، ١١٥.
٤- مقدمة لدرس لغة العرب، ٢١١.
٥- خصائص الحروف العربية ومعانيها، ١٥٥.

- **أثر الإبدال بين الراء والزاي:**

الراء ذُلقية [١]؛ لأن مبدأها من ذلق اللسان، والزاي أسلية [٢]؛ لأن مبدأها من أسلة اللسان [٣]، قد اختلفتا في المخرج، ولكن اتفقتا في الجهر والانفتاح والاستفال [٤]، وعدهما أبو الطيب من حروف الإبدال، فذكر أنه يقال "هذه قربة مرعوبة ومزعوبة أي مملوءة" [٥].

وقد نتج عن وقوع الإبدال بين الراء والزاي توجيه الدلالة في قوله تعالى: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

قال السمين الحلبي: "وقرأ أبو عمرو والحرميَّان [٦]: **{نُنْشِرُهَا}** بضم النون وكسر الشين والراءِ المهملةِ، والباقون كذلك إلاَّ أنها بالزاي المعجمة **{نُنْشِزُهَا}**....، فَأَمَّا قراءة الحرميّين فَمِنْ (أَنْشَرَ اللَّهُ الموتى) بمعنى أَحْيَاهم،....، وأَمَّا قراءةُ الزاي فَمِنْ (النَّشْز) وهو الارتفاعُ، ومنه: (نَشْزُ الأرضِ) وهو المرتفعُ، ونشوزُ المرأةِ وهو ارتفاعُها عن حالِها إلى حالةٍ أخرى، فالمعنى: يُحَرِّك العظامَ ويرفعُ بعضَها إلى بعضٍ للإحياء" [٧].

١- ذُلْقية: نسبة إلى ذَوْلَق اللسان، وذولق اللسان: أي حد طرفه، والأصوات الذولقية: الراء واللام والنون، ينظر: المحيط في اللغة ٣٧٣/٥ والمحكم والمحيط الأعظم، ٥٤٨/٨، والقاموس المحيط، ٨٨٥، ولسان العرب، ١٠٩/١٠، (ذ، ل، ق).

٢-أَسَلِّية: نسبة إلى أسل اللسان، وهو: طرف شباته إلى مستدقّه، والأصوات الأسلية: أصوات الزاي والصاد والسين، ينظر المحيط في اللغة، ٣٨١/٨، والمحكم والمحيط الأعظم، ٣٤٧/٦، والقاموس المحيط، ٩٦١، ولسان العرب،١٥/١١، (أ، س، ل).

٣- العين، ٥٨/١، وشرح المفصل، ١٢٨/١٠، وينظر تفصيل مخرج الصوتين: الكتاب، ٤٣٣/٤ والمقتضب، ٣٢٩/١، وسر صناعة الإعراب، ٤٧/١، ومخارج الحروف وصفاتها، ٨٢-٨٣ وشرح المقدمة الجزرية٤٠-٤٢، والأصوات اللغوية، ٥٧-٥٨، ٦٧ ٦٨، والمختصر في أصوات اللغة العربية، ١٠٨-١٠٩، ١٢٨.

٤- ينظر: مخارج الحروف وصفاتها، ٨٧-٩٠، وشرح المقدمة الجزرية، ٤٧-٥٠، والمختصر في أصوات العربية، ٥٧-٥٨، ٦٣-٦٤.

٥- الإبدال، ٢٣٠/٢.

٦ - الحرميان هما: ابن كثير ونافع.

٧- الدر المصون، ٥٦٦/٢-٥٦٧، وينظر: المحيط في اللغة، ٢٨٧/٧، ٣١٩، ومفردات ألفاظ القرآن، ٨٠٥-٨٠٦، والمحكم والمحيط الأعظم، ١٠/٨، ٤١، والكشاف، ٤٩١/١، والجامع لأحكام القرآن، ٣٠٥/٤-٣٠٦، والبحر المحيط، ٤٧٢/٢، ولسان العرب ٢٠٦/٥ ٤١٨، والتحرير والتنوير، ٣٧/٣، والمعجم الاشتقاقي، ١٣٩٣-١٣٩٤ (ن، ش، ر)، (ن، ش، ز).

يتبين مما سبق أن الإبدال الصوتي بين صوتي الراء والزاي ترتب عليه اختلاف في المعنى، وبه فرَّق السمين بين اللفظين، فذكر أن (النشر) ينصرف إلى معنى الإحياء بعد الموت ومنه قوله: **{فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ} [فاطر: ٩]**، وقوله تعالى: **{وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك: ١٥]**، وكذا قوله تعالى **{ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُ} [عبس: ٢٢]**، وقد وصف اللهُ العِظام بالإحياءِ في قوله: **{مَن يُحيِي العظام وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الذي أَنشَأَهَآ} [يس: ٧٨-٧٩]**.

أما (النشز) فذكر أنه ينصرف إلى معنى الارتفاع أو النقل من موضع إلى آخر أو مفارقة الحال فترفع العظام، وتحرك إلى بعضها للإحياء، ومنه قوله: **{وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا} [المجادلة:١١]** أي ارتفعوا شيئا فشيئا كنشوز الناب فبذلك تكون التوسعة فكأن النشوز ضرب من الارتفاع، وقوله: **{واللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ} [النساء: ٣٤]** فنشوز المرأة كمفارقة الحال التي يجب أن تكون عليه وهو موافقة زوجها [١].

واجتماع المعنيين في العظام بأن الله ﷻ ينشرها أي يحييها، وينشزها أي يحركها ويرفع بعضها إلى بعض حتى تلتئم في التركيب للإحياء؛ للتنبيه علي عظيم قدرته.

ولعل اختصاص (الزاي) بمعاني (النشوز)؛ لدلالة الحركة المضطربة القوية التي يحاكيها صوت الزاي، وأفاد هذا المعنى أ/عبد الله العلايلي حين ذكر أنه التقلع القوي [٢] بمعنى الحركة والاضطراب، وأكد ذلك أ/حسن عباس، فقال عنه: "هو متنوع الخصائص فحدة صوته توحي بالشدة والفعالية" [٣] ويضيف "ولما كان الصوت يستمد حدته من ذبذباته الصوتية العالية، فهو إذا لفظ بشيء من الشدّة أوحى بالاضطراب والتحرك والاهتزاز" [٤].

وأما عن اختصاص صوت (الراء) بمعاني (النشور)؛ فربما يرجع لدلالة الحركة والاضطراب بالتكرير والترجيع التي يحاكيها الصوت [٥]

١-ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٣٠٦/٤، والبحر المحيط، ٤٧٢/٢، والدر المصون، ٥٦٧/٢.
٢ ـ مقدمة لدرس لغة العرب، ٢١٠.
٣ ـ خصائص الحروف العربية ومعانيها، ١٣٩.
٤ ـ السابق، ١٣٩.
٥ ـ ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب، ٢١٠، ٨٦-٨٨.

- **أثر الإبدال بين الحاء والخاء:**

الحاء والخاء حلقيتان لأن مبدأهما من الحلق [١]، وكما اتفقتا في المخرج اتفقتا في الهمس والرخاوة والانفتاح [٢]، وبسبب تجاور الصوتين وخروج كل منهما باحتكاك دون منطقة اللهاة وقع الإبدال بينهما بصورة متوسطة، وعدهما أبو الطيب اللغوي أنهما من حروف الإبدال فذكر أنه يقال "حَنْظَى به يُحَنْظي وخَنْظَى به يُخَنْظي إذا سَمَّع به وذَكَره بقبيح" [٣]، وذكر د/محمد جبل أن من غير العرب اليونانيين- يبدلون الحاء بالخاء [٤].

وأثر الإبدال بين الحاء والخاء في توجيه دلالة قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ **[الرحمن: ٦٦].**

حيث يقول السمين الحلبي: "والنَّضْخُ: فوق النَّضْحِ بالحاءِ، لأنَّ النَّضْحَ بالحاءِ: الرَّشُّ، والرَّشْحُ والنَّضْخُ بالخاء: فَوَرانُ الماء" [٥].

فبذلك يكون الإبدال الصوتي بينهما له أثر في المعنى، حيث به حصل تفريق بين اللفظين، وإن اتفقا في المعنى العام وهو الرش [٦]، بمعنى جريان الماء، فذكر السمين أن النضخ بمعنى فوران الماء واندفاعه وانفجاره من ينبوعه بقوة، أما النضح فهو الرش البسيط أو الرشح.

ولعل في صوت الحاء سرًّا جعله يتناسب مع معاني (النضح) فهو صوت رقيق رخو يجري به النطق دون شد أو قوة، فكان أوفق للرش البسيط الماء، وذلك الرش ليس

١- العين، ٥٨/١، وينظر تفصيل مخرج الصوتين في: الكتاب، ٤٣٣/٤، المقتضب، ٣٢٨/١، وسر صناعة الإعراب، ٤٧/١، وشرح المفصل، ١٢٤/١٠، ومخارج الحروف وصفاتها، ٨٠، وشرح المقدمة الجزرية، ٣٥-٣٦، والأصوات اللغوية، ٧٥-٧٦، والمختصر في أصوات اللغة العربية، ٨٥، ٨٧، ٩١.
٢- ينظر: مخارج الحروف وصفاتها، ٨٧-٨٩، وشرح المقدمة الجزرية، ٤٧-٥٠، والمختصر في أصوات العربية، ٥٧-٥٨، ٦٣-٦٤.
٣- الإبدال، ٢٦٢/١.
٤- ينظر: المختصر في أصوات اللغة العربية، ٩١.
٥- الدر المصون، ١٨٤/١٠، وينظر: العين، ١٧٧/٤، والمحيط في اللغة، ٢٣٦/٤، والمحكم والمحيط الأعظم، ٤٢/٥- ٤٣والكشاف ١٨/٦، والجامع لأحكام القرآن، ١٦١/٢٠، ولسان العرب، ٦١/٣-٦٢، والمعجم الاشتقاقي، ١٤٠١-١٤٠٢، (ن، ض، خ).
٦- ينظر: لسان العرب، ٦١٨/٢ (ن، ض، ح).

به قوة، وإلى ذلك ذهب أ/حسن عباس حيث ذكر أن الحاء تحمل دلالة الرقة والكياسة والجمال [١]

وتناسب الخاء في معاني (النضخ) مع كونه صوتا رقيقا رخوًا إلا أنه في المقارنة بينه وبين الحاء يظهر أنه أشد قوة من الحاء في أداء المعنى؛ حيث إنه أكثر احتكاكا. وإلى ذلك ذهب ابن جني حيث قال "النضح للماء ونحوه، والنضخ أقوى من النضح فجعلوا الحاء –لرقَّتها– للماء الضعيف، والخاء لغلظها– لما هو أقوى منه" [٢].

وربما في إيثار التعبير القرآني للنضخ عن النضح في هذا السياق الذي وردت فيه وهو وصف ما في الجنة من عيون، ما ذكره الطوسي (ت ٤٦٠هـ) حيث قال: "وجه الحكمة في العين النضاخة أن النفس إذا رأت الماء يفور كان أمتع" [٣]، وتبعه الآلوسي (١٢٧٠هـ) بقوله: "الفوران جري مع زيادة حسن؛ فإن الماء إذا فار وقع متناثر القطرات كحبات اللؤلؤ المتناثرة" [٤]، وهذا من مبهجات النفس، ويتناسب مع ما في الجنة من نعيم ومتع للنفس على عكس النضح وهو الرش أو الرشح البسيط الخفيف الذي قد لا يجذب النفس أو يثيرها خاصة إذا قيل إن هذين العينين تنخضان "بالمسك والكافور والعنبر" [٥]، فيجمع بين جمال المشهد وطيب الرائحة.

ثانيا: الإبدال بين الصوائت:

كما اختلفت دلالات المفردات معجميا من خلال الإبدال بين الصوامت كذلك قد تختلف دلالاتها بالإبدال بين الصوائت القصيرة أي: الحركات الثلاثة (الكسرة، والضمة، والفتحة) في طائفة من المفردات على الرغم من ثبات الصوامت في مواقعها.

١- **أثر الإبدال بين الضمة والكسرة في توجيه الدلالة المعجمية:**

وقع الإبدال بين الكسرة والضمة مترتبا عليه توجيه الدلالة المعجمية على النحو الآتي:

١- ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ١٨٤.
٢-الخصائص،١٥٨/٢، وينظر:المحتسب،١٩/٢، والمزهر،٥٠/١،والتحرير والتنوير، ٢٧٢/٢٧.
٣- التبيان في تفسير القرآن، ٤٨٤/٩، وينظر: المعجم الاشتقاقي، ١٤٠٢ (ن، ض، ح).
٤- روح المعاني، ١٢٢/٢٧.
٥- البحر المحيط، ٢٨٢/٨.

- **أثر الإبدال بين الضمة والكسرة في (هُدنا/هِدنا):**

الضمة والكسرة من الحركات الثقيلة، وقد يحدث الإبدال بينهما محققا فرقا دلاليا؛ لأنه متى أُلْبِسَ وجبَ أن يُؤتَى بحركةٍ تزيل اللبس.

وأثر الإبدال بين الضمة والكسرة في الدلالة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ **[الأعراف: ١٥٦].**

قال السمين الحلبي: "قوله: **{إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ}** العامَّةُ على ضم الهاءِ **{هُدْنَآ}**، من (هاد يَهُود) بمعنى: مال، قال [١]:

قَــدْ عَلِمَــتْ سَــلْمَى وجَارَاتُهَــا أَنِّــي مِــنَ اللهِ لَهَــا هَائِــدُ

أو تَابَ من قوله [٢]:

إِنِّــي امْــرؤ مِمَّــا جَنَيْــتُ هَائِــدُ وَمِــن كَــلاَم بَعْضِــهِم

وقرأ زيد بنُ علي، وأبو وجزة {هِدْنَآ}بكسر الهاء مِنْ (هَادَ يَهِيدُ) أي: حَرَّكَ" [٣].

إذن فإن الإبدال بين الضمة والكسرة قد جاء مؤثرا في توجيه المعنى، ففرق السمين بين اللفظين وإن اتفقا في المعنى العام وهو (الميل)، فذكر أن (هُدنا) بالضم ينصرف معناها إلى الميل بمعنى التوبة أي (تقربنا وتبنا إلى الله مما عسى أن نكون ألممنا به من ذنب أو تقصير)، أما (هِدنا) بالكسر فينصرف معناها إلى الميل بمعنى الحركة، أي: (حرَّكنا أنفسنا وجذبناها لطاعة الله ﷻ).

ولعل حركة الضمة تناسبت مع ما يدل على التوبة، فجاء ثقل الحركة متناسبا مع صعوبة مهمة التوبة فهي أشد على الإنسان، وجاءت حركة الكسر متناسبة مع ما يدل على

١- لم أقف على قائله، والبيت من السريع، ينظر: البحر المحيط، ٥٠٧/٤، والدر المصون، ٤٧٦/٥.
٢ - لم أقف على قائله، والبيت من الرجز، ينظر: الدر المصون، ٤٧٦/٥.
٣- الدر المصون، ٤٧٦/٥-٤٧٧، وينظر: التبيان في تفسيرالقرآن، ٥٥٨/٤، والكشاف، ٥١٧/٢ والجامع لأحكام القرآن، ١٥٨/٢ ١٥٩، ٣٥٠/٩، والبحر المحيط، ٥٠٧/٤.

التحرك إلى طاعة الله لأنها أقل ثقلا من الضمة؛ لذا جعلوا الحركة الأقوى للفعل الأقوى، والحركة الأضعف للفعل الأضعف [١].

- **أثر الإبدال بين الضمة والكسرة في (الذُّل/الذِّل):**

وقد وقع الإبدال بين الضمة والكسر، مترتبا عليه اختلاف الدلالة في قوله: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ **[البقرة: ٦١]**.

قال السمين: "و(الذُّلّ) بالضم: ما كان عن قَهْرٍ، وبالكسر: ما كان بعد شماس من غير قهر" [٢].

أما عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ﴾ **[البقرة: ٧١]**، فقد قال "(الذَّلول) التي ذُلِّلَت بالعمل، يقال: بقرة ذَلُول بَيِّنَةُ الذِّل بكسر الذال، ورجل ذَليل: بين الذُّل بضمّها" [٣]، فخص الذُّل بالضم للإنسان وخص الذِّل بالكسر لما لا عقل له من الأرض والدواب.

إذن فتوجيه الدلالة كان نتيجة لهذا الإبدال بين الضمة والكسرة، حيث ذكر أن (الذُّل) بالضم الذي خصه بالإنسان هو القهر الذي يكون ضد العز، وصرح بذلك عند تعرضه لقوله تعالى **{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِ مِنَ الرَّحْمَةِ} [الإسراء: ٢٤]**، حيث قال: "الذُّلَّ بالضمِّ ضدُّ العِزِّ" [٤]، وأكد ذلك جماعة من المفسرين عند قوله **{وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ آَلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُم عِزًّا} [مريم: ٨١]**، فذكروا أن ضد العِزّ هو الذُّلُّ والهوان، أي يكونون عليهم ضِدًّا لما قصدوا وأرادوه [٥].

١- ابن جني عالم العربية، ٩٣.
٢-الدر المصون، ٣٩٧/١، وينظر: المحيط في اللغة، ٥٧/١٠، ومفردات ألفاظ القرآن، ٣٣٠، والمحكم والمحيط الأعظم، ٤٩/١٠، والقاموس المحيط، ١٠٠١-١٠٠٢، والمعجم الاشتقاقي ٤٧٣-٤٧٤، (ذ، ل، ل).
٣-الدر المصون، ٤٢٩/١، ٣٨٧/١٠-٣٨٨، وينظر: التبيان في تفسير القرآن، ٢٩٩/١، والجامع لأحكام القرآن، ١٨٩/١، والبحر المحيط، ٤٢٣/٨، والتحرير والتنوير، ٥٥٥/١.
٤ - الدر المصون، ٣٤٤/٧.
٥- ينظر: الكشاف، ٥٣/٤، والجامع لأحكام القرآن، ٥١١/١٣، والبحر المحيط، ٢٦٦/٦-٢٦٧ والتحرير والتنوير، ١٦٤/١٦.

أما (الذِّل) بالكسر الذي خصه بما لا يعقل من الدواب والأرض فهو اللين الذي هو ضد الصعوبة حيث نص على ذلك بقوله: "الذِّلُّ في الدوابِّ لأنه ضدُّ الصعوبة" [١]، وفي قوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا} [الملك ١٥]**. أكدت جماعة من المفسرين أن الذَّلُولُ: المنقاد الذي يذلّ لك والمصدر الذل وهو اللين والانقياد، أي: لم يجعل الأرض بحيث يمتنع المشي فيها بالحزونة والغلظة [٢].

ولعل اختصاص حركة الضم الثقيلة في (الذُّل) بالإنسان؛ لأن الذل الذي يلحق بالإنسان أشد وطأة فالله ﷻ خلق الإنسان عزيزًا إلا أن يلحقه ذل من نفسه أو غيره فيكون ذليلا، على عكس الدواب حيث إن صفة (الذِّل) مما يستحسن فيها فاختير لها الكسر الذي هو أضعف من الضمة. وهذا ما ذهب إليه ابن جني حيث قال: "الذِّل في الدابة ضد الصعوبة، والذُّل للإنسان؛ وهو ضد العز وكأنهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للحيوان؛ لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدرًا مما يلحق الدابة واختاروا الضمة لقوتها للإنسان، والكسرة لضعفها للدابة" [٣].

٢- **<u>أثر الإبدال بين الضمة والفتحة في توجيه الدلالة المعجمية:</u>**

كما حدث الإبدال بين الضمة والكسرة وترك أثرًا ملموسا يؤثر في توجيه المعنى، كذلك شأن الإبدال بين الضمة والفتحة حيث أدى إلى توجيه الدلالة على النحو الآتي:

- **<u>أثر الإبدال بين الضمة والفتحة في (الكُره/الكَره):</u>**

تُعد الضمة أثقل الحركات، والفتحة أخفها [٤]، وقد يحدث الإبدال بينهما في طائفة من المفردات مؤديا إلى توجيه الدلالة.

وقد جاء الإبدال بين الضمة والفتحة مؤثرا في الدلالة في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ **[البقرة: ٢١٦]**.

---

١ ـ الدر المصون، ٣٤٤/٧.
٢ـينظر: الكشاف، ١٧٥/٦، والجامع لأحكام القرآن، ١٢٣/٢١ـ١٢٤، والبحر المحيط، ٤٢٣/٨ والدر المصون، ٣٨٨/١٠ والتحرير والتنوير، ٣١/٢٩ ـ٣٢.
٣ـ المحتسب، ١٨/٢، وينظر: ابن جني عالم العربية، ٩٣.
٤ـ ينظر: الخصائص، ٦٩/١، والمحتسب، ١٨/٢.

فقال السمين: قرأ الجمهور **{كُرْهٌ}** بضمِّ الكاف، وهو الكراهية بدليل قوله: **{وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً}** ،...، وقرأ السُّلميُّ بفتحها **{كَرْهٌ}**، وقيل: المفتوح ما أُكره عليه المرؤ والمضموم ما كرهه هو" [١].

إذن يتضح أن الإبدال بين الضمة والفتحة قد أثر في توجيه الدلالة، فـ (الكُره) بالضم يتوجه إلى معنى هو ما حمل المرؤ نفسه عليه من غير إكراه أحد إياه عليه، "وإنما كان الجهاد كُرها؛ لأن فيه إخراج للمال، ومفارقة للوطن والأهل، والتعرض بالجسد للشجاج والجراح، وقطع الأطراف وذهاب النفس فكانت كراهيتهم لذلك، لا أنهم كرهوا فرض الله " [٢] فكأن المعاناة المفهومة من لفظة (الكُره) بالضم تشمل معاناة نفسية وجسدية تتمثل فيما يسببه القتال وما ينتج عنه، وليس لأنهم كرهوا فرض الله. وهو يحمل على معنى المشقة كقوله: **{حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا} [الأحقاف: ١٥]**.

أما (الكَره) بالفتح فوجهه إلى أنه هو ما حمله غيره عليه فأدخله عليه إجبارًا وكون الجهاد إجبارًا؛ لأنه السبيل الوحيد لحماية العقيدة، والذود عنها والدفاع عن النفس؛ لئلا يغلب المسلمون ويذلوا ويذهب أمرهم [٣]، فكأن (الكَره) بالفتح يحمل معاناة نفسية تمثلت في كون القتال إجبارًا عليهم، وعليهم الامتثال لأمر الله وطاعته، لا أنهم كرهوا فرض الله ومن الكره بمعنى الإجبار قوله: **{قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّنْ يُتَقَبَّل مِنكُمْ} [التوبة:٥٣]**، وقوله: **{يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا} [النساء: ١٩]**؛ "لأَنَّهُ روي أَنَّ الرَّجُلَ منهم كان إذا لم يكن له غرض في المرأة أمسكها حتى تموتَ؛ فيرثها، أو تَفْتَدِيَ منه بمالها إنْ لم تَمُت" [٤]، فكأنه يجبر المرأة على أحد الأمرين.

ولعل اختصاص حركة الضمة الثقيلة في (الكُره) بما يكرهه المرؤ واختصاص الفتح في (الكَره) بما يُجبر عليه المرؤ؛ لأن ما يكرهه المرؤ في الأشياء التي لا يميل إليها أكثر قسوة

١- الدر المصون، ٣٨٦/٢، وينظر: وينظر: جامع البيان، ٦٤٦/٣، والكشاف، ٤٢٣/١، والجامع لأحكام القرآن، ٤١٦/٣-٤١٧، والبحر المحيط، ٢٣١/٢.
٢- الجامع لأحكام القرآن، ٤١٧/٣.
٣- ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٤١٧/٣.
٤- اللباب في علوم الكتاب، ٢٥٧/٦.

ومشقة عليه من الأشياء التي قد يرغب فيها ويميل إليها وإن أجبر عليها، فتراهم وافقوا بين الحركات وما تدل عليه.

ومن ناحية أخرى من خلال السياق القرآني يتضح أن (الكُره) بالضم يختص بما فيه معاناة نفسية وجسدية (كالحمل والوضع)، و(الكَره) بالفتح يختص بما فيه معاناة نفسية (كالإنفاق الإجباري) ولا شك أن ما فيه معاناة نفسية وجسدية أشد وأقوى مما فيه معاناة نفسية فقط، فوافقت الحركة الأقوى الفعل الأقوى والحركة الأضعف للفعل الأضعف.

- **أثر الإبدال بين الضمة والفتحة في (الهُون/الهَون):**

توجهت لدى السمين الحلبي الدلالة من خلال الإبدال بين الضمة والفتح عند تعرضه لقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ **[الأنعام: ٩٣].**

حيث يقول السمين:" **و{الهُونِ}:** الهَوَان؛ قال تعالى: **{أَيُمْسِكُهُ على هُونٍ}** [النحل ٥٩]،...، وأضاف العذابَ إلى الهُونِ إيذاناً بأنه متمكنٌ فيه وذلك لأنه ليس كل عذاب يكون فيه هُونٌ لأنه قد لا يكون فيه هُونٌ، لأنه قد يكون على سبيل الزَّجْرِ والتأديب" [١].

وعند تعرضه لقوله: **{وَعِبَادُ الرحمن الذين يَمْشُونَ على الأرض هَوْناً} [الفرقان: ٦٣]** قال: "و**{الهَّوْن}** بفتح الهاء: اللين والرِّفْقُ" [٢].

فمما ذكره السمين الحلبي يظهر أن للاستبدال بين الضمة والفتح أثرا في توجيه المعنى فذكر أن المعنى في لفظة (الهُون) يتجه إلى الذل والهوان ضد العز؛ ولذلك جاءت لفظة (الهُون) بضم الهاء ملازمة للعذاب في أغلب نصوص القرآن، ومن ذلك قوله تعالى **{فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ العَذَابِ الهُّونِ} [فصلت: ١٧]**، ويحمل معنى مزدوجا فهو يدل على العذاب والخزي، فالخزي يكون في الدنيا، والعذاب يكون في الآخرة أي: خزي في الدنيا وعذاب في الآخرة.

١- الدر المصون، ٤٣/٥، ٤٩٧/٨، وينظر: جامع البيان، ٤١٢/٩، والمحيط في اللغة، ٧٠/٤، والمحكم والمحيط الأعظم، ٤٢٨/٤ ومفردات ألفاظ القرآن، ٨٤٨-٨٤٩، والكشاف، ٣٧٣/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٤٦٢/٨، ولسان العرب، ٤٣٨/١٣- ٤٣٩ والبحر المحيط، ٢٣٥/٤، والتحرير والتنوير، ٣٨٠/٧ ٦٨/١٩، والمعجم الاشتقاقي، ١٤٧٠ (هـ، و، ن).

٢- الدر المصون، ٣٩٧/٨، وينظر: جامع البيان، ٤٩٠/١٧، والكشاف، ٣٦٧/٤-٣٦٨، والجامع لأحكام القرآن، ٤٦٦/١٥ والبحر المحيط، ٦٢٠/٤، والتحرير والتنوير، ٦٨/١٩، والمعجم الاشتقاقي، ١٤٧١، (هـ، و، ن).

أما (الهَون) بفتح الهاء فذكر أن معناه اللين والرفق والسكينة والوقار وخفة المئونة ولذلك عندما تعرض لقوله: **{أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ} [النحل: ٥٩]**، ضَعَّف قراءة **{هَوَنٍ}** بفتح الهاء في الآية، فقال: "وفرقة على **{هَوَنٍ}** وهي قلقة؛ لأن (الهَون) بفتح الهاء الرفق واللين، ولا يناسب معناه هنا، وأما الهوان فمعنى (هُون) المضموم" [١].

ولعل اختصاص حركة الضمة الثقيلة في (الهُون) بالعذاب والهوان واختصاص الفتح في (الهَون) بالرفق واللين، كأن قوة المعنى مستمدة من قوة الحركة، فأقوى الحركات وهي الضمة جعلوها للمعنى الأقوى، فتناسبت حركة الضمة الثقيلة مع قوة العذاب والهوان والفتحة لضعفها جعلوها للمعنى الأضعف، فناسبت خفة حركة الفتح مع اللين والرفق.

٣- **أثر الإبدال بين الكسرة والفتحة في توجيه الدلالة المعجمية:**

كذلك يعد الإبدال بين الكسرة والفتحة في طائفة من المفردات موجها الدلالة كما سيأتي:

- **أثر الإبدال بين الكسرة والفتحة في (السِّلم /السَّلم):**

يُعد الكسر أثقل من الفتح؛ لذلك تعتبر الفتحة أخف الحركات [٢]، وقد يحدث الإبدال بينهما ويترتب عليه إلى اختلاف في الدلالة، ويعطى المعنى الأقوى للكسر، والأخف للفتح.

وقد توجهت الدلالة نتيجة الإبدال بين الكسرة والفتحة في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ **[البقرة: ٢٠٨]**.

وفي ذلك يقول السمين: "قوله: **{السِّلْمِ}** قرأ هنا **{السَّلْمِ}** بالفتح نافع والكسائي وابن كثير والباقون **{السِّلْم}** بالكسر،....، وقرأ الأعمش {السَّلَم} بفتح السين واللام، وقيل: هما مختلفا المعنى: فبالكسر الإسلام وبالفتح الصلح" [٣].

من النص السابق يظهر أن المعنى قد اختلف نتيجة الإبدال بين الكسرة والفتحة؛ فتوجه معنى (السِّلم) بالكسر إلى معنى الإسلام والطاعة، ومنه قول الشاعر [٤]:

---

١ -الدر المصون، ٢٤٦/٧، وينظر: البحر المحيط، ٦٤٢/٥.
٢- ينظر: الخصائص، ٦٩/١، والمحتسب، ١٨/٢.
٣- الدر المصون، ٣٥٨/٢- ٣٥٩، وينظر: جامع البيان، ٥٩٦/٣-٥٩٧، والكشاف ٤١٧/١، والجامع لأحكام القرآن، ٣٩٣/٣، والبحر المحيط، ١٩٥/٢-١٩٦، والتحرير والتنوير، ٢٧٥/٢.
٤- الشاعر: امرؤ القيس بن عباس الكندي جاهلي وأدرك الإسلام، ينظر ترجمته في: المؤتلف والمختلف، ٩، وذُكر أنه ابن عامر الكندي، ينظر: الوحشيات (الحماسة الصغرى)، ٥٨-٥٩، والبيت من الوافر، ينظر: جامع البيان، ٥٩٧/٣، والمؤتلف والمختلف، ٩ والجامع لأحكام القرآن، ٣٩٣/٣، والدر المصون، ٣٥٨/٢، والتحرير والتنوير، ٢٧٦/٢.

دَعَـــوْتُ عَشِـــيرَتي لِلسِّـــلْم لَمَّـــا رَأَيْـــــــتُهُمُ تَوَلَّـــــــوْا مُـــــــدْبِرِينَا

أي: دعوتهم للإسلام لما ارتدوا، وذلك لما ارتدت كندة مع الأشعث بعد وفاة النبي ﷺ [١]

أما (السَّلْم) بالفتح فتوجه معناه إلى ضد الحرب وهو الصلح والمهادنة والمسالمة، ومنه قوله تعالى **{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا} [الأنفال: ٦١]**، وقوله تعالى: **{فَلا تَهِنُوَا وَتَدْعُوَا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ} [محمد: ٣٥]**، أي (لا تضعفوا عن جهاد المشركين وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة وأنتم الأعلون [٢]، فالآية في الحرب.

أما في قراءة الأعمش بفتحتين فهو الإذعان، والانقياد والاستسلام [٣] ومنه قوله: **{فَإِنْ اعْتَزَلُوكُم فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا} [النساء: ٩٠]** والمعنى: (استسلموا لكم وانقادوا)، وقوله تعالى: **{وَأَلْقَوْا إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ} [النحل: ٨٧]** أي استسلموا لحكم الله فيتضح أن (السَّلَم) بفتحتين يقترن مع الإلقاء لما فيه من معنى الإذعان والانقياد، " وإنما هذا مثلٌ كما يقول الرجل للرجل: أعطيتك قيادي، وألقيت إليك خطامي إذا استسلم له، وانقاد لأمره" [٤].

ولعل اختصاص حركة الكسر في (السِّلْم) بالإسلام والطاعة، واختصاص حركة الفتح في (السَّلْم) بالصلح والمهادنة، لما كان دخول الإسلام فيه قوة وثقل؛ لأنه يترتب على الدخول في الإسلام نبذ كل ما في الجاهلية والمعتقدات الخاطئة الباطلة، فناسب مجيء الكسر معه لقوته، والصلح والمهادنة أخف من دخول الإسلام فناسب مجيء الفتح؛ لأنه أخف من الكسر، فقوة المعنى مستمدة من قوة الحركة.

أما توالى الفتحتين في (السَّلَم) فجاءت أخف الحركات وهي الفتح متتاليتين لمعنى الإذعان والانقياد وكأن تلك الانسيابية التي سببتها الحركة في تواليها مع خفتها تناسبت مع معاني الاستسلام التام والطاعة.

١- جامع البيان، ٥٩٨/٣، والجامع لأحكام القرآن، ٣٩٣/٣، والتحرير والتنوير، ٢٧٦/٢.
٢- ينظر: جامع البيان، ٢٢٨/٢١، والكشاف، ٥٣١/٥، والجامع لأحكام القرآن، ٢٨٨/١٩.
٣- ينظر: جامع البيان، ٢٩٧/٧، والكشاف، ١٢٤/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٣٩٣/٣، والبحر المحيط، ٤٥١/٣.
٤- جامع البيان، ٢٩٧/٧.

- **<u>أثر الإبدال بين الكسرة والفتحة في (العِوَج/العَوَج):</u>**

وقد حدث الإبدال كذلك بين الكسرة والفتحة في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ **[آل عمران: ٩٩].**

قال السمين: "قال الزجاج: و(العِوج) بالكسر، و(العَوج) بالفتح الميل، ولكن العرب فرقوا بينهما فخصوا المكسور بالمعاني، والمفتوح بالأعيان تقول: في دينه وفي كلامه (عِوج) بالكسر، وفي الجدار والقناة والشجر(عَوَج) بالفتح، وقال أبو عبيدة: (العِوج) بالكسر الميل في الدين والكلام والعمل و(العَوج) بالفتح في الحائط والجذع. وقال أبو إسحاق: الكسر فيما لا ترى له شخصا وبالفتح فيما له شخص" [١].

إذن فالإبدال بين الكسرة والفتحة قد شكل فرقا، وعلى أساسه توجه المعنى، وإن اتفق اللفظان في المعنى العام وهو الميل [٢]، فـ (العِوج) بالكسر يكون بالانعطاف في كل ما هو معنوي لا يدرك بالبصر، ولكن يدرك بالبصيرة كالانعطاف في الدين والزيغ فيه أو الميل عن جادة الصواب، وأما (العَوج) بالفتح فيكون بالانعطاف في كل ما هو مادي ويدرك بالبصر كالجدار والشجر والقناة.

ولعل تناسب الكسر في (العِوج) مع كل ما هو معنوي يدرك بالبصيرة، وتناسب (العَوج) بالفتح مع كل ما هو مادي يدرك بالبصر؛ لأن ما يدرك بالبصيرة عادة أصعب وأثقل مما يدرك بالبصر، فالرؤية البصرية أسهل من الرؤية القلبية؛ لأن الرؤية القلبية لا تتوافر إلا لذوي الألباب؛ لذلك تناسبت حركة الكسر التي هي أثقل من الفتح مع ما يدرك بالبصيرة لصعوبة الإدراك بها، في حين أن حركة الفتح التي هي أخف من الكسر مع ما يدرك بالبصر لسهولة الإدراك به. فجعلوا الحركة الأقوى للمعنى الأقوى والحركة الأضعف للمعنى الأضعف.

١- الدر المصون، ٣٢٦/٣، وينظر: جامع البيان، ٦٢٦/٥، ومعاني القرآن للزجاج، ٤٤٧/١، والمحيط في اللغة ٩٣/٢، ومفردات ألفاظ القرآن، ٥٩٢-٥٩٣، والمحكم والمحيط الأعظم، ٢٨٢/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٣٣/٥، ولسان العرب، ٣٣١/٢-٣٣٢ والبحر المحيط، ٣٤٤/٦، وتاج العروس، ١٢٠/٦ (ع، و، ج)، والتحرير والتنوير، ٢٦/٤.
٢ - ينظر: معاني القرآن للزجاج، ٤٤٧/١، والجامع لأحكام القرآن، ٢٣٣/٥.

وفي قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ **[طه: ١٠٧]**، قال اللغويون العوج بالكسر في المعاني، وبالفتح في الأعيان، والأرض عين، فكيف صح فيها كسر العين، ويجيب عن ذلك الزمخشري حيث يقول: "اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملاسة، ونفي الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون وذلك أنه لو عمدت إلى قطعة أرض فسويتها وبالغت في التسوية على عينيك وعيون البصراء، واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط، ثم استطلعت رأي المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر، ولكن بالقياس الهندسي، فنفى الله ﷻ ذلك العوج الذي دق ولطف عن الإدراك، اللهم إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير الهندسي، وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الإحساس ألحق بالمعاني، فقيل فيه عِوج بالكسر" [١].

المبحث الثاني

أثر الإبدال الصوتي في توجيه الدلالة الصرفية

قد تشترك في البنية الصرفية الواحدة عدد من الصيغ الصرفية المختلفة؛ وذلك لأن المعاني أكثر أن يُوضع لكل معنى منها صيغة خاصة به [٢]، ويعد الإبدال الصوتي بين الصوائت من الوسائل التي تعين على التفريق بين تلك الصيغ المختلفة، فقد يترتب على استبدال صائت محل الآخر في بنية اللفظ انتقال في الدلالة الصرفية له، وبذلك يصبح دليلاً على توجيه المعاني [٣] على النحو الآتي:

١- **أثر الإبدال بين الكسرة والفتحة:**

قد يؤثر الإبدال بين الصوائت في توجيه الدلالة الصرفية لبنية اللفظ، فبعض البنى الصرفية تختص بصائت معين يكون دليلا عليها [٤]، وقد ورد أثر الإبدال بين الكسرة والفتحة مفرقا موجها للدلالة الصرفية على النحو الآتي:

١- الكشاف، ١١٠/٤، وينظر: البحر المحيط، ٣٤٤/٦، والدر المصون، ١٠٥/٨-١٠٦.
٢ - ينظر: البيان في روائع القرآن، ٢٠/١، واتساع الدلالة في الخطاب القرآني، ١٦٥-١٦٦.
٣ - ينظر: معاني النحو، ١١/١.
٤ - ينظر: الفروق اللغوية في العربية، ٢٣٨-٢٣٩، وعلم الأصوات العام، بسام بركة، ١١٠.

- **أثر الإبدال بين الكسرة والفتحة في توجيه الدلالة بين اسم الفاعل والمفعول:**

تشترك بنية اسم الفاعل واسم المفعول من غير الثلاثي في صيغة واحدة مضمومة الميم هي (مفعل) وقد فرَّق النحاة بينهما بصائت الفتحة والكسرة ففتح ما قبل الآخر لصيغة المفعول (مُفعَل)، وكسر ما قبل الآخر لصيغة الفاعل (مُفعِل)، نحو: مُقاتَل لاسم المفعول، ومُقاتِل لاسم الفاعل [1].

وقد ورد أثر الإبدال بين الكسرة والفتحة في توجيه الدلالة بين اسم الفاعل والمفعول في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ **[يوسف: ٢٤].**

يقول السمين الحلبي: " قوله تعالى: **{المُخْلَصِينَ}** قرأ هذه اللفظة حيث وردت إذا كانت معرفة بأل مكسورة اللام **{المُخلِصينَ}:** ابن كثير، وأبو عمرو وابن عامر أي: الذين أخلصوا دينهم لله على اسم الفاعلِ، والمفعول محذوفٌ والباقون بفتحها**{المُخلَصِينَ}** على أنَّه اسم مفعولٍ من أخلصهم الله، أي اجتباهم واختارهم، وأخلصهم من كلِّ سوءٍ" [2].

فالإبدال الواقع بين الكسرة والفتحة أثر في توجيه الدلالة الصرفية، فالفتحة وجهت دلالتها إلى كونها اسم مفعول ويترتب عليها معنى: أن يوسف عليه السلام كان من المختارين المصطفين المطهرين، والكسرة وجهت دلالتها إلى كونها اسم فاعل ويترتب عليها معنى أنه عليه السلام كان من الأنقياء صادقي العهد في دينهم لله، والمعنيان في القراءتين يجتمعان ليوسف عليه السلام فهو المُخلِص في دينه المُخلَّص من كل رذيلة أو منقصة.

١ ـ ينظر: الكتاب، ٢٨٢/٤، والمقرب، ١٤٢/٢، وشرح التسهيل، ٧١/٣، ٨٨، وارتشاف الضرب ٥٠٩/٢، والمساعد على تسهيل الفوائد، ١٨٩/٢-١٩٠، ٢٠٨، وشرح ابن عقيل، ١٣٧/٣ وأوضح المسالك، ٢٤٥/٣-٢٤٦، وشفاء العليل، ٦٢١/٢، ٦٣١، وهمع الهوامع، ٥٧/٦.

٢- الدر المصون، ٤٧٠/٦، وينظر: معاني القرآن للزجاج، ١٠٢/٣، والتبيان في تفسير القرآن ١٢٠/٦ والمحرر الوجيز، ٧١/١٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٧٢٩/٢، والجامع لأحكام القرآن ٣١٨/١١، ومفاتيح الغيب، ١٢٣/١٨، والبحر المحيط، ٣٨٥/٥، وروح المعاني ٢١٧/١٢ والتحرير والتنوير، ٢٥٥/١٢.

- **أثر الإبدال بين الكسرة والفتحة في توجيه الدلالة بين اسم الفاعل واسم الآلة:**

أشار النحاة إلى أن بنية اسم الفاعل من الفعل الثلاثي إذا كان على زنة (فَعَل) هي (فاعِل) بكسر العين قياسا مطردًا، نحو: (ضَرَب) فهو (ضَارِب)، و(قَعَد) فهو (قاعِد) [١].

وقد قرروا أن لاسم الآلة ثلاثة أوزان قياسية، هي: (مِفعل) نحو: مِبرد، (ومِفْعَلة) نحو مِلْعَقة، (ومِفْعَال) نحو مِفْتَاح [٢]، وزاد المجمع اللغوي بالقاهرة أوزانا أخرى هي: (فِعال) نحو إراث لما تؤرَّث به النار أي: توقد، (وفَاعلة) نحو: ساقية، (وفاعول) نحو: ساطور، (وفعَّالة) نحو: غسَّالة[٣]، ويختلف البناء لاختلاف المعنى في اسم الآلة، ومن ذلك: الخازِق والمخزق، والمِخْزَقة، فالخازِق: اسم آلة ومعناه السنان، والمِخْزَقة: الحربة، والمِخْزَق عود في طرفه مسمار عند بياع البسر[٤]، بيد أن هناك أسماء آلة جامدة، لم تؤخذ من غيرها وليس لأوزانها ضابط، مثل: قَلَم ومُدية إلخ [٥]، ومن تلك الأوزان (فاعَل) الذي يشترك مع اسم الفاعل، والتفريق بينهما باختلاف الصوائت بين الكسرة والفتحة.

وقع الإبدال بين الكسرة والفتحة مؤثرا في توجيه الدلالة بين اسم الفاعل واسم الآلة في قوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠].

فقال السمين: "**{وخَاتم}** قرأ عاصمٌ بفتح التاء، والباقون بكسرها. فالفتح اسمٌ للآلةِ التي يُخْتَمُ بها كالطابَع والقالَبِ لما يُطْبَعُ به ويُقْلَبُ فيه، هذا هو المشهور،....، والكسرُ على أنه اسمُ فاعلٍ [٦].

١- ينظر: الكتاب، ١١٠/١، والمقتضب، ١١٢/٢، وشرح المفصل، ٦٨/٦، وشرح التسهيل، ٧١/٣، وارتشاف الضرب، ٥١٠/١، وشرح ابن عقيل، ١٣٤/٣، والمساعد على تسهيل الفوائد، ١٨٨/٢، وأوضح المسالك ٢٤٣/٣، وشفاء العليل، ٦٢١/٢، وهمع الهوامع، ٥٧/٦.
٢- ينظر: الكتاب، ٩٤/٤-٩٥، والمقتضب، ١١٢/٢، والأصول، ١٥١/٣، وشرح المفصل، ١١١/٦، وشرح الشافية ١٨٦/١-١٨٧، وشفاء العليل، ٨٦٨/٢، وهمع الهوامع، ٥٦/٦.
٣- ينظر: النحو الوافي، ٣٣٧/٣، والمحيط في أصوات العربية، ٢٤٩/١-٢٥٠
٤- ينظر: لسان العرب، ٧٩/١٠ (خ، ز، ق)، ومعاني الأبنية في العربية، ١٠٩.
٥ - ينظر: المحيط في أصوات العربية، ٢٥٠/١.
٦- الدر المصون، ١٢٩/٩، وينظر: معاني القرآن للفراء، ٣٤٤/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٢٣٠/٤، والتبيان في تفسير القرآن، ٣٤٣/٨، والمحرر الوجيز، ١٢٥/٢٢، والكشاف، ٧٦/٥ والتبيان في إعراب القرآن، ١٠٥٨/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦٥/١٧-١٦٦، والبحر المحيط ٣١٤/٧، وروح المعاني، ٣٤/٢٢، والتحرير والتنوير، ٤٧/٢٢.

إذن فقد ترتب على الإبدال بين الصائتين توجيه في الدلالة، حيث توجهت الدلالة بصائت الكسر إلى اسم الفاعل فيكون المعنى أنه الذي خَتَم النبيين، بينما توجهت الدلالة بصائت الفتحة إلى اسم الآلة فيكون المعنى أنه آخر النبيين.

واجتماع المعنيين بالقراءتين يفيد التأكيد على أنه آخر الأنبياء، فاسم الفاعل يعني أنه لا نبي بعده واسم الآلة يفيد أنه الخاتم أو الطابع الذي يختم به المكتوب فلا يكون بعده شيء، فكذلك باب النبوة قد أغلق وتم وختم بسيدنا محمد ﷺ، فهو مسك الختام، وقد ذكر الفراء ذلك بقوله: "أما سمعت المرأة تقول للعطَّار: اجعل لي خاتمه مسكا: أي آخره" (١).

- **أثر الإبدال بين الكسرة والفتحة في توجيه الدلالة بين اسم الفاعل والمصدر:**

قد تحتمل بنية صرفية معينة أكثر من معنى صرفي، حيث يحصل في اللغة أن تأتي صيغتان متغايرتان على ظاهر شكلي واحد متماثل، ويؤدي ذلك إلى اللبس، وتكون للصوائت دور في التمييز بين تلك الصيغ فيرفع بها اللبس بمعونة السياق، ومن ذلك صيغة (فعل) التي تشترك فيها عدة معانٍ صرفية كاسم الفاعل، والمصدر (٢)، وتميز الصوائت بينهما فصيغة (فَعِل) بالكسر اسم فاعل من الفعل غير المتعدي، نحو: بَطِر، وصيغة (فَعَل) بالفتح مصدر، نحو: بَطَر.

وجه الإبدال بين الكسرة والفتحة الدلالة بين اسم الفاعل والمصدر في قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا** ﴾ **[الأنعام: ١٢٥].**

فيقول السمين: "وحَرَجًا وحَرِجًا بفتح الراء وكسرها،....، وفرَّق الزجاج والفارسي بينهما فقالا المفتوح مصدر والمكسور اسم فاعل. قال الزجاج: الحَرَج أضيق الضيق، فَمَنْ قال رجل حرَج يعني بالفتح فمعناه ذو حَرَج في صدره، ومن قال حرِج يعني بالكسر جعله فاعلاً وكذلك دنَف ودنِف وقال الفارسي: مَنْ فتح الراء كان وصفًا بالمصدر نحو: فَمَن وحَرَىً ودنَف ونحو ذلك من المصادر التي يوصف بها، ولا تكون كبطل لأن اسم الفاعل في الأمر

١- معاني القرآن للفراء، ٣٤٤/٢، وينظر: جامع البيان، ١٢٣/١٩.
٢- ينظر: المفتاح في الصرف، ٣١، ٦٤، وشرح الملوكي، ٢١، والمقرب، ١٣٢/٢، ١٤٣، والممتع في التصريف، ٦٢/١، وشرح الشافية ١٥١/١، وشرح التسهيل، ٤٦٨/٣، وشرح الكافية الشافية ٢٢٢٣/٤، وارتشاف الضرب، ١٤٨/١.

العام إنما يجيء على فَعِل، ومن قرأ حَرِجاً – يعني بكسر الراء – فهو مثل دنِف وفَرِق بكسر العين" [١].

مما سبق يظهر أن الإبدال قد أثر في توجيه الدلالة، فالفتح وجه الدلالة إلى المصدر فيكون المعنى صدره ذو حَرَج، أما الكسر فقد وجه الدلالة إلى اسم الفاعل فيكون المعنى: صدره حرِج.

والمعنيان يجتمعان بالقراءتين فكما أن الحرجة: الشجرة التي تحدق بها الأشجار فلا يصل لها راعية أو وحشية، كذا قلب الكافر لا يصل إليه شيء من الخير على وجه المبالغة وهو مكتسب من الوصف بالمصدر، كما أن عدم وصول الخير لقلبه حدث متجدد، وهو مكتسب من الوصف باسم الفاعل.

- **<u>أثر الإبدال بين الكسرة والفتحة في توجيه الدلالة بين المصدر وجمع التكسير:</u>**

وقد يأتي الإبدال بين الكسرة والفتحة موجها لدلالة البنية الصرفية بين المصدر وجمع التكسير فبنية (افعال) بنية مشتركة بين المصدر وجمع التكسير وجاءت الصوائت للتفريق بين الدلالتين، فصائت الفتحة على الهمزة نحو (أَفعال) يوجه دلالتها إلى جمع التكسير، نحو: أفهام جمع فهم [٢]، وصائت الكسرة تحت الهمزة نحو (إفعال) يوجه دلالتها إلى المصدر، نحو: إفهام مصدر الفعل (أفهم) [٣].

١- الدر المصون، ١٤٢/٥-١٤٣، وينظر: معاني القرآن للفراء، ٣٥٣/١-٣٥٤، وجامع البيان ٥٤٧/٩، ومعاني القرآن للزجاج ٢٩٠/٢، والمحرر الوجيز ٤٥٧/٨، والكشاف، ٣٩٤/٢ والتبيان في إعراب القرآن، ٥٣٧/٢، والجامع لأحكام القرآن، ٢٥/٩ ومفاتيح الغيب، ١٩٢/١٣ والبحر المحيط، ٢٨٢/٤، وروح المعاني، ٢٢/٨، والتحرير والتنوير، ٥٧/٨.

٢- ينظر: الكتاب، ٥٦٨/٣، والمقتضب، ١٩٣/٢، والأصول في النحو، ٤٣٠/٢، والمقرب ١٠٦/٢، وشرح الرضي، ٣٩٧/٣ وشرح الشافية، ٩٣/٢، وشرح الكافية الشافية، ١٨١٥/٤ وارتشاف الضرب، ٤٠٥/١-٤٠٦، وشرح ابن عقيل، ١١٤/٤ والمساعد على تسهيل الفوائد، ٣٩٣/٣-٣٩٤، وأوضح المسالك، ٣٠٧/٤، وشفاء العليل، ١٠٢٩/٣، وهمع الهوامع ٨٨/٦-٨٩.

٣- ينظر: الكتاب، ٨٣/٤، والمقرب، ١٣٤/٢، وشرح التسهيل، ٤٧٢/٣، وشرح الكافية الشافية ٢٢٣٥/٤، وشرح الشافية ١٦٣/١ وارتشاف الضرب، ٤٩٧/٢، والمساعد على تسهيل الفوائد ٦٢٦/٢، وشرح ابن عقيل ١٢٩/٣، وأوضح المسالك، ٢٣٨/٣، وهمع الهوامع، ٥٠/٦.

وجاء الإبدال بين الكسرة والفتحة مؤثرا في توجيه الدلالة بين المصدر وجمع التكسير في قوله: ﴿ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ١٢].

حيث يقول السمين الحلبي: "قوله: **{لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ}** قرأ ابنُ عامر **{لَا إِيمَانَ}** بكسر الهمزة وهو مصدرُ آمَن يُؤمن إيمانً، هل هو من الأمان؟ وفي معناه حينئذٍ وجهان: أحدهما أنهم لا يؤمنون في أنفسهم أي: لا يُعطون أماناً بعد نُكثهم وطعنهم، ولا سبيل إلى ذلك والثاني: الإخبار بأنهم لا يُوفُون لأحدٍ بعهدٍ يعقدُونَه له، أو من التصديق أي: إنَّهم لا إسلام لهم، واختار مكيٌّ التأويل الأوَّل، لما فيه من تجديد فائدة لمْ يتقدَّم لها ذكرٌ؛ لأنَّ وصفهم بالكفر وعدم الإيمان قد سَبَقَ وعُرِف، وقرأ الباقون بالفتح **{لاَ أَيْمَانَ}**، وهو جمعُ يمين وهذا مناسب للنكث، وقد أُجمع على فتح الثَّانية ويعني نفي الأيمان عن الكُفَّارِ، أنَّهم لا يُوفُون بها وإن صدرتْ منهم وثَبَتَتْ" (١).

في ضوء النص السابق يتبين ما للاستبدال بين الكسرة والفتحة من أثر في توجيه الدلالة، حيث وجه السمين الدلالة الصرفية بحركة الكسرة إلى المصدر (إفعال) أي لا أمان للكفار بنكثهم الوعد أو لا صدق في إسلامهم، أما في حركة الفتحة فقد وجه دلالة البنية إلى جمع تكسير (أفعال) من جموع القلة أي: لا ذمة لهم لأنهم يحنثون بالقسم، وتتحد المعاني في القراءتين لتأكيد نفي إيمان هؤلاء الكفار، فلا أمان لهم ولا وفاء منهم ولا تصديق فيهم.

٢- **أثر الإبدال بين الضمة والفتحة:**

كذلك يعد الإبدال بين الضمة والفتحة في طائفة من المفردات مؤثرا وموجها في الدلالة الصرفية على النحو الآتي:

- **أثر الإبدال بين الضمة والفتحة في توجيه الدلالة بين المصدر وصيغة المبالغة:**

تعد صيغة (فعول) من الصيغ المشتركة بين المصدر وصيغة المبالغة، والتفريق بينهما من خلال الصائت، فصيغة (فُعُول) بضم الفاء تأتي مصدرًا للفعل الثلاثي (فَعَل، وفَعِل)

١- الدر المصون، ٦/٢٥-٢٦، وينظر: معاني القرآن للفراء، ١/٤٢٥، وجامع البيان، ١١/٣٦٦-٣٦٧، والكشاف، ٣/١٧-١٨، والجامع لأحكام القرآن ١٠/١٢٧، ومفاتيح الغيب، ١٥/٢٤٢ ٢٤٣، والبحر المحيط، ٥/٢٠، وروح المعاني، ١٠/٦٠، والتحرير والتنوير، ١٠/١٣٠.

نحو: جَحَد، جُحُود، ولَزِم لُزُوم [١]، أما صيغة (فَعُول) بفتح الفاء فهي إحدى صيغ المبالغة، نحو (زَهوق، شَكور) [٢].

وقد ورد أثر الإبدال بين الضمة والفتحة في توجيه الدلالة بين المصدر وصيغة المبالغة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ **[لقمان: ٣٣]**.

فيقول السمين الحلبي: "وسَمَّاك بنُ حَرْبٍ ويعقوب **{الغُرُور}** بالضم وهو مصدر والعامة بالفتح {الغَرُور} صفة مبالغة كَشَكُورٍ وفسر بالشيطان" [٣]

مما ذكره السمين يتبين ما قد ترتب على الإبدال بين الضمة والفتحة في توجيه البنية؛ حيث توجهت الدلالة بالضمة إلى المصدر، ويكون المعنى: لا يخدعكم بالله الأباطيل أو زينة الأشياء وتوجهت الدلالة بالفتحة إلى صيغة مبالغة مقصودًا بها الشيطان، ويكون المعنى: لا يخدعكم بالله الشيطان.

والقراءتان مقصودتان حيث يجب على الناس ألا تغريهم زينة الدنيا وملذاتها ومتاعها عن تقوى الله، وألا يتبعوا خطوات الشيطان العدو المبين الذي يغريهم باتباعه حتى لا يكون مصيرهم السعير.

- **<u>أثر الإبدال بين الضمة والفتحة في توجيه الدلالة بين الاسم والمصدر الدال على المرَّة:</u>**

من بين الصيغ الصرفية الدالة على أكثر من معنى صيغة (فعلة)، حيث تدل على الاسم (مسمى الشيء) والمصدر الدال على المرة، ويميز بينهما بالصوائت، فـ (فُعْلة)

١- ينظر: الكتاب، ٥/٤-٦، والمقتضب، ١٢٣/٢، وشرح التسهيل، ٤٦٨/٣-٤٦٩، والمقرب، ١٣٠/٢، وشرح الشافية، ١٥١/١ وارتشاف الضرب، ٤٨٣/٢، والمساعد على تسهيل الفوائد، ٦١٩/٢، وشرح ابن عقيل، ١٢٤/٣، وأوضح المسالك، ٢٣٦/٣، وهمع الهوامع، ٤٩/٦.
٢- ينظر: شرح الرضي، ٤٢١/٣، وشرح التسهيل، ٧٩/٣، وشرح الكافية الشافية، ١٠٣١/٢ وارتشاف الضرب، ٢٢٨١/٥، وشرح ابن عقيل، ١١١/٣، والمساعد على تسهيل الفوائد، ١٩٢/٢، وأوضح المسالك، ٢١٩/٣، وشفاء العليل، ٦٢٣/٢، وهمع الهوامع، ٨٦/٥ والمحيط في أصوات العربية، ٢٤٢/١، ومعاني الأبنية في العربية، ١٠٠.
٣- الدر المصون، ٧٤/٩، وينظر: معاني القرآن، الفراء، ٣٣٠/٢، وجامع البيان، ٥٨٢/١٨، وبحر العلوم، ٢٦/٣، والمحرر الوجيز ٦٢/٢١، والكشاف، ٢٤/٥، والجامع لأحكام القرآن، ٤٩٥/١٦-٤٩٦، والبحر المحيط، ٢٥٥/٧، وروح المعاني، ١٠٩/٢١.

بالضم اسم، نحو: بُسْرة [1] وبالفتح مصدر دال على المرة، نحو: ضَرْبة [2].

وترتب على الإبدال بين الضمة والفتحة توجيه في الدلالة بين الاسم والمصدر الدال على المرة في قوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ [البقرة: ١٦٨].

حيث يقول السمين: " قوله: **{خُطُواتِ}**،....، قرأ أبو السَّمَّال **{خُطَوات}** بفتحها (الطاء) ونقل ابنُ عطية وغيرُه عنه أنه قرأ {خَطَوات}بفتح الخاء والطاء، وقراءةُ أَبي السَّمَّال التي نَقَلَها ابنُ عطية فهي جَمْعُ خَطْوة بفتح الخاء، والفرقُ بين الخطوة بالضم والفتح: أنَّ المفتوحَ مصدرٌ، دالةٌ على المَرَّة من خَطَا يَخْطُو إذا مَشَى، والمضمُوم اسمٌ لِما بين القَدَمَيْن كأنه اسمٌ للمسافةِ، كالغُرْفَة اسمٌ للشيءِ المُغْتَرَف" [3].

إذن فقد أثر الإبدال بين الضمة والفتحة في توجيه الدلالة، حيث اتجهت الدلالة بصائت الضمة إلى مسمى المسافة بين القدمين عند مشي الماشي فهو يخطوها، فيكون المعنى: فلا تتبعوا سبيله ولا تسلكوا طريقه لأن الخطوة ههنا تشير إلى اسم مكان، أما الدلالة بصائت الفتحة إلى المصدر الدال على المرة فيكون المعنى: لا تأتموا به ولا تقفوا أثره.

والمعنيان مطلوبان، فالله ﷻ أمر المكلَّف ألا يسلك طرق الشيطان التي يدعوه إليها، أي وساوسه فيقتدي به في تحريم الحلال، وتحليل الحرام، وما سنَّه من معاصي بدع، أو أن يتبع أثره ويأتم به وذلك من خلال اتباع الهوى، وإرسال النفس على العمل بما يوسوسه لها من الخواطر البشرية.

١- ينظر: المفتاح في الصرف، ٣٢، والمنصف، ١٨/١، والممتع في التصريف، ٦١/١، وارتشاف الضرب، ١٤٧/١، وشرح ابن عقيل ١٩٣/٤، وأوضح المسالك، ٣٦١/٤، وهمع الهوامع، ١٠/٦، والنحو الوافي، ٧٤٩/٤، والمحيط في أصوات العربية، ٢٢٢/١.

٢- ينظر: المفتاح في الصرف، ٦٥، وشرح الشافية، ١٧٨/١، وهمع الهوامع، ٥٣/٦، ومعاني الأبنية، ٣٤.

٣- الدر المصون، ٢٢٤/٢، وينظر: جامع البيان، ٣٧/٣، ومعاني القرآن للزجاج، ٢٤١/١ والتبيان في تفسير القرآن، ٧١/٢، والمحرر الوجيز، ٤٠٦/٢-٤٠٧، والكشاف، ٣٥٥/١-٣٥٦ والتبيان في إعراب القرآن، ١٣٩/١، الجامع لأحكام القرآن، ١٢/٣، ومفاتيح الغيب، ٣/٥-٤ والبحر المحيط ٦٨١/١، وروح المعاني ٣٩/٢، والتحرير والتنوير، ١٠٣/٢.

- **أثر الإبدال بين الضمة والفتحة في توجيه الدلالة بين الاسم والفعل:**

تشترك بعض الأبنية الصرفية في التعبير عن معاني الاسمية والفعلية؛ وذلك لأن الكلمات في اللغة أكبر من أن تُحد أو توضع لها أوزان خاصة، وتفرق بينها عدة وسائل منها الإبدال بين الصوائت بمعية السياق، فوزن (فعل) يصلح أن يكون اسما أو فعلا، وتميز بينهما الصوائت، فصيغة (فَعُل) بالضم قد تعبر عن الاسم نحو: عَضُد، وصيغة (فَعَل) بالفتح قد تعبر عن الفعل الماضي، نحو: عَضَد [١].

وقد توجهت الدلالة بين الاسم والفعل الماضي نتيجة للإبدال بين الضمة والفتحة في قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ **[المائدة: ٦٠].**

وفي ذلك يقول السمين: "قوله: **{وَعَبَدَ الطاغوت}** في هذه الآية أربعٌ وعشرون قراءةً اثنتان في السبع، وهما {وعَبَد الطاغوتَ} على أن (عَبَد) فعلٌ ماضٍ مبني للفاعل، وفيه ضميرٌ يعودُ على (مَنْ)...، {وعَبُدَ الطاغوتِ} بضم الباء وفتح الدال وخفض الطاغوت، وهي قراءةُ حمزة، والأعمش ويحيى، وتوجيههُا كما قال الفارسي وهو أن (عَبُدًا) واحدٌ يُراد به الكثرةُ مثلَ قوله تعالى **{وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ الله لاَ تُحْصُوهَا} [إبراهيم: ٣٤]**، وليس بجمع (عبد)؛ لأنه ليس في أبنيةِ الجمعِ مثلُه. قال: وقد جاء على (فَعُل) لأنه بناء يُراد به الكثرةُ والمبالغةُ في نحو يَقُظ ونَدُس كأنه قد ذهب في عبادة الطاغوت كلَّ مذهب، وبهذا المعنى أجاب الزمخشري أيضًا، قال: معناه الغلُوُّ في العبودية كقولهم: (رجل حَذُر وفَطُن) للبليغ في الحذر والفطنة" [٢].

١- ينظر: المفتاح في الصرف، ٣١، ٣٧، والمنصف، ١٨/١، ٢٠، والممتع في التصريف، ٦٢/١، ١٦٦، وشرح الشافية، ٦٧/١، وشرح الكافية الشافية، ٢٢١٣/٤، وارتشاف الضرب ١٤٨/١، ١٥٣، والمساعد على تسهيل الفوائد، ٥٨٥/٢، وأوضح المسالك، ٣٦١/٤-٣٦٢ وهمع الهوامع ١٠/٦، ٢٠، والمحيط في أصوات العربية، ١٧٥/١، ٢٢١.

٢-الدر المصون، ٣٢٧/٤-٣٢٨، وينظر: معاني القرآن للفراء، ٣١٤/١، ومعاني القرآن للزجاج ١٨٧/٢- ١٨٨، والتبيان في تفسير القرآن، ٥٧٢/٣-٥٧٣، والكشاف، ٢٦٢/٢، والتبيان في إعراب القرآن، ٤٤٨/١، والجامع لأحكام القرآن، ٧٧/٨-٧٨، ومفاتيح الغيب، ٣٩/١٢، والبحر المحيط ٧١٢/٣، وروح المعاني ١٧٥/٦، والتحرير والتنوير ٢٤٦/٦.

إذن يتضح أنه قد ترتب على الإبدال بين الصائتين توجيه في الدلالة، حيث وجهت الضمة الدلالة إلى كونه اسما، فيكون المعنى: وجعل منهم من يبالغ في عبادة الطاغوت، أما الفتحة فقد وجهت الدلالة إلى كونه فعلا، فيكون المعنى: من لعنه الله وغضب عليه وعَبَدَ الطاغوت.

والمعنيان مرادان مطلوبان، فاللعنة والغضب قد طالت من زُين له الباطل فعبد الطاغوت (كعبادة العجل)، فكانت عبادته له عبادة للشيطان، أو أطاع الكهنة أو الأحبار في المعصية فمن أطاع أحدا في معصية الله فقد عبده، فكانت طاعته لهم عبادة للطاغوت، وإن كان ذلك حال من زينت له المعاصي، أو غُرر به ففعلها، فكيف تكون اللعنة والغضب بمن ذهب في عبادة الطاغوت كل مذهب وغلا فيها وبالغ حتى بلغ الغاية؟

- **<u>أثر الإبدال بين الضمة والفتحة في توجيه الدلالة بين المبني للمجهول والمعلوم:</u>**

أشار النحاة إلى بعض التغييرات التي تطرأ على الفعل الذي يُبنى إلى المجهول من المعلوم، وتلك التغييرات تكون من خلال الإبدال بين الصوائت [1]، ففي الماضي الثلاثي المُضعف يُضم أوله للدلالة على المجهول، نحو: وُدِّ، رُدَّ، ويفتح أوله للدلالة على المعلوم نحو: وَدَّ، رَدَّ.

وحصل الإبدال بين الضمة والفتحة وترتب عليه توجيه الدلالة بين المبني للمجهول والمعلوم في قوله: ﴿ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ ﴾ **[الرعد: ٣٣]**.

وفي ذلك يقول السمين: "قوله: **{وَصُدُّواْ}** قرأ الكوفيون [2]، **{وصُدُّوا}** مبنيًا للمفعول وباقي السبعة مبنيّين للفاعل، و(صَدَّ) جاء لازماً ومتعدياً فقراءةُ الكوفةِ من المتعدِّي فقط،

١-ينظر: الكتاب، ٢٧٩/٤، ٣٤٢، والمقتضب، ٥٠/٤، وشرح الكافية الشافية، ٦٠٣/٢-٦٠٦، وشرح التسهيل، ١٣٠/٢-١٣٣ وارتشاف الضرب، ١٣٤٠/٣- ١٣٤٧، والمساعد على تسهيل الفوائد، ٤٠٠/١-٤٠٣، وشرح ابن عقيل، ١١٣/٢-١١٧، وأوضح المسالك، ١٥٥/٢-١٥٨، وشفاء العليل، ٤٢٠/١-٤٢١، والنحو الوافي، ٩٨/٢-١٠٤.
٢ - الكوفيون هم: عاصم، وحمزة، والكسائي.

وقراءةُ الباقين تتحمل أن يكونَ من المتعدِّي ومفعولُه محذوفٌ، أي: وصَدُّوا غيرَهم أو أنفسَهم، وأن يكونَ مِنَ اللازم أي: أَعْرَضوا وتَوَلَّوا" [1].

إذن الإبدال كان المائز بين المبني للمجهول والمبني للمعلوم، حيث توجهت الدلالة بصائت الضمة إلى كونه مبنيا للمجهول، فيكون المعنى أنهم مصدودون عن سبيل الحق بما ختم الله على قلوبهم أو بإغواء الشيطان لهم، وبصائت الفتحة إلى كونه مبنيا للمعلوم فيكون المعنى أنهم صادو الناس وصرفوهم عن السبيل والإيمان بمكرهم، وبالجمع بين القراءتين فإن المشركين بالله كانوا مصدودين عن الإيمان بالله وسبيل الحق، وكذلك كانوا يصدون غيرهم.

- **<u>أثر الإبدال بين الضمة والفتحة في رد الفعل المضارع إلى الماضي بين (فَعَل/أَفْعَل):</u>**

ومن خلال الإبدال بين الصوائت ردَّ النحاة الفعل المضارع إلى الماضي المجرد (فَعَل) أو المزيد (أَفعَل)، فأشاروا إلى أن صيغة (يَفْعل) بفتح حرف المضارعة نحو: (يَأخُذ، يَضْرِب، يَقْرَأ) ماضيها (فَعَل): نحو: أَخَذَ وضَرَب، وقَرَأ) [2]، أما صيغة (يُفعل) بضم حرف المضارعة نحو: (يُخْرج، يُكْرم) ماضيها (أَفْعَل) نحو: أخرج، وأكرم [3].

وقد ترتب على الإبدال بين الضمة والفتحة رد المضارع بين (فعل، وأفعل) في قوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ** ﴾ **[البقرة: ١٥]**.

قال السمين: "والمشهورُ فتحُ الياءِ من **{يَمُدُّهم}**، وقُرئ شاذاً بِضمِّها فقيل: الثلاثي والرباعي بِمعنى واحدٍ، تقول: مَدَّه وأَمَدَّه بكذا، وقيل: مَدَّه إذا زاده من جنسه، وأَمَدَّه إذا زادَه من غير جنسِه، وقيل: مَدَّه في الشرِّ، كقوله: **{وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ العذاب مَدّاً} [مريم: ٧٩]**، وَأَمَدَّه في الخير كقوله: **{وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ} [نوح:١٢]**، وقوله: **{وَأَمْدَدْنَاهُم**

---

١ ـ الدر المصون، ٥٧/٧، وينظر: المحرر الوجيز، ٢٠٨/١٣، والكشاف، ٣٥٥/٣، والتبيان في إعراب القرآن، ٧٥٩/٢ والجامع لأحكام القرآن، ٧٨/١٢-٧٩، ومفاتيح الغيب، ٥٨/١٩، والبحر المحيط، ٥٠٨/٥، وروح المعاني، ١٦٢/١٣ والتحرير والتنوير، ١٥٤/١٣.

٢- ينظر: المفتاح في الصرف، ٤٠، والممتع في التصريف، ١٧٣/١، وشرح الشافية، ١١٨/١، وارتشاف الضرب، ١٥٧/١-١٥٨، وهمع الهوامع، ٣٠/٦، والمحيط في أصوات العربية، ١٧٤/١-١٧٥.

٣- ينظر: الكتاب، ٢٧٩/٤، والمفتاح في الصرف، ٤٤، والممتع في التصريف، ١٧٦/١، وشرح الشافية، ١٤٠/١، ونزهة الطرف للميداني ١١، وهمع الهوامع، ٣٤/٦.

بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ} [الطور: ٢٢]، {أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ} [آل عمران: ١٢٤]، إلا أنَّه يُعَكِّر على هذين الفريقين أنه قرئ **{وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغي} [الأعراف: ٢٠٢]** باللغتين، ويمكن أن يُجَاب عنه بما ذكره الفارسي في توجيهِ ضَمِّ الياء أنه بمنزلةِ قولِهِ **{فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ} [آل عمران: ٢١]**، و**{فَسَنُيَسِّرُهُ للعسرى} [الليل: ١٠]**، على سبيل التهكم" [١].

إذن فالانتقال بين الصائتين أثر في توجيه الدلالة، فالضمة على ياء المضارعة ردت الفعل إلى ماضيه المزيد على (أَفْعَل)، أي: أمدَّ، والفتحة على ياء المضارعة ردت الفعل إلى ماضيه المجرد على (فَعَل)، أي: مدَّ، وذلك هو المائز بينهما.

ولا أميل إلى كون صيغتين مختلفتين بمعنى واحد، فأي تغير في المبنى سواء بالزيادة أو النقصان يستتبعه تغير في المعنى، وهذا ثابت في اللغة، وكل صيغة تؤدي معنى معين منعا للبس، فالفعل المزيد (أمدَّ) يأتي في الخير كما أكدت السياقات القرآنية، والفعل المجرد (مدَّ) يأتي في سياقات الشر وكذلك يكون الفعل (أمد) للزيادة في الشيء من غيره، والفعل (مد) للزيادة في الشيء من جنسه.

ويمكن أن يُجاب على مجيء (أمد) في سياق الشر، بأنه إما أن يكون الأمر على سبيل التهكم، أو حينما يكون الأمر متعلقا بالطغيان والضلال، فتكون كل وسائل الإمداد متاحة له بالخير والشر، فقد يكون ما يراه المخلوق في ظنه من وسائل إمداد في الخير هو ما ييسر له ويعينه ويزيده في شره، وطغيانه وضلاله وكذلك ما يفعله من شر يزاد له بالإمهال والإملاء ووجود معين له يزيده ويدعمه في ذاك الشر.

والإمداد من الله يكون بالإمهال والترك في العتو والتمرد، والإطالة في العمر، وتمكينهم من عصيانهم، ومن المخلوقين بالزيادة من خلال التقوية، والإعانة، والدعم.

١- الدر المصون، ١٤٩/١، وينظر: التبيان في تفسير القرآن، ٨٠/١-٨١، والمحرر الوجيز، ١٢٩/١-١٣٠، والكشاف، ١٨٥/١-١٨٦، والجامع لأحكام القرآن، ٣١٦/١-٣١٧، ومفاتيح الغيب، ٧٨/٢-٧٩، والبحر المحيط، ٩٤/١، وروح المعاني، ١٥٩/١، والتحرير والتنوير ٢٩٥/١.

الخاتمة

والحمد لله في البدء والختام، والصلاة على سيدنا محمد ﷺ خير الأنام، وعلى آله وصحبه الكرام.

وبعد فبعون الله وتوفيقه قد انتهيت من هذا البحث، وأود أن أعرض جملة من النتائج العامة التي توصلت إليها من خلاله، وقد كشف البحث عن العديد من النتائج من أهمها ما يلي:

- مصطلح الإبدال لم يكن غائبا عن أذهان القدامى، فقد صرح البعض به في مؤلفاته، ومنهم من أفرد له مؤلفات، وقد نال عناية المحدثين كذلك فدرسوا ما فيه، وفصلوا ما أجمله بعض القدامى.
- كان السمين الحلبي واعيا للإبدال وأثره فقد تتبعه على مستوى القراءات والسياقين المختلفين مبرزا ذلك الأثر الذي ترتب عليه الإبدال الصوتي.
- يتضح أن الإبدال الصوتي جاء مؤثرا في توجيه المعنى على المستوى المعجمي والمستوى الصرفي فقد ترتب على الإبدال بين الصوامت أو الصوائت في طائفة من المفردات توجيه في المعنى، ففي الدلالة المعجمية أحدث فروقا معنوية دقيقة بين الألفاظ، كالفرق بين (النضخ والنضح) (والنشز والنشر) كما في الصوامت، والفرق بين (السِّلم والسَّلم)، و (هُدنا، وهِدنا)، (وعِوج، وعَوج) كما في الصوائت.
- للأصوات في اللغة العربية مقاصد بيانية وآثار تعبيرية مرادة تتعانق مع دلالات المفردات التي تأتي فيها في ضوء السياق القرآني، بحيث إنها لو استبدلت بغيرها لأدى ذلك إلى تقويض الإعجاز البياني الذي قام عليه النص القرآني، فالشين التي تدل على التفشي بغير انتظام وافقت (الخشوع) الذي يكون مصدره القلب وينتشر في الجوارح كافة، أما الضاد التي تحمل دلالة الشدة والقوة والاستعلاء ناسبت صفات (الخضوع) الذي يدل على الإذلال بقوة.
- قد يؤدي الإبدال الصوتي سواء أكان بين الصوامت أو الصوائت إلى اختلاف في المعنى في القراءات القرآنية لكنه ليس اختلافا يؤدي إلى تقويض المعنى في السياق، بل هو مما

يكمل للمعنى صورته ويعمقه ويزيده وضوحا، فاختلاف القراءة بالإبدال بين الصوائت كالإبدال بين الفتح والكسر كما في (المخلصين) يكتمل بها المعنى ليوسف عليه السلام فهو المخلِص دينه لله، والمُخلَص من كل سوء، وكذلك اختلاف القراءة بين الصوامت كما في (النشر، والنشز) للعظام فهو ينبه لعظمة الله وقدرته في المتمثلة في حركة العظام إلى بعضها برفع بعضها بعضا وتكرار ذلك حتى يكتمل بناؤها.

- يظهر كذلك أن الإبدال الصوتي بين الصوامت يراعى فيه التناسب بين الصوت والمعنى فالصامت الأقوى جاء متناسبا مع المعنى الأقوى، والصامت الأضعف جاء متناسبا مع المعنى الأضعف فصوت القاف الذي يوحي بالقساوة والصلابة قد تفاعل مع لفظة (القصم) وتناسب معها بما يوحي بالإزالة القوية وفظاعة الكسر وشدة الغضب والسخط في السياق في حين أن صوت الفاء الرخو تناسب مع لفظة (الفصم) بما يوحي بالتفريق الفصل الدقيق دونما عنف.
- التناسب كذلك بين الصوت والمعنى تحققت في الصوائت، فجاء الصائت الأقوى للمعنى الأقوى والصائت الأضعف مع المعنى الأضعف، فصائت الضمة أقوى من الكسرة، ولذلك كانت الضمة تتناسب مع المعنى القوي للفظة (الذُّل) بمعنى القهر ضد العز للإنسان، أما الكسرة التي هي أضعف نسبيا من الضمة تناسبت مع (الذِّل) بمعنى الانقياد واللين.
- الإبدال بين الصوائت قد أثر في الدلالة الصرفية، فكان الاختلاف بين الصائتين مؤديا إلى توجيه البنية إلى صيغة صرفية معينة بصائت معين، وتنتقل دلالتها إلى صيغة أخرى بصائت آخر، كالإبدال بين الكسرة والفتحة في البنية الذي أدى إلى انتقال دلالتها بين المصدر وجمع التكسير كما في (إيمان، وأَيمان) والإبدال بين الضمة والفتحة في البنية الذي أدى إلى انتقال دلالتها بين المصدر وصيغة المبالغة كما في (الغُرور، والغَرور).

المصادر والمراجع

- الإبدال، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، تحقيق: عز الدين التنوخي مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م.
- ابن جني عالم العربية، حسام سعد النعيمي، دار الشئون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠م.
- اتساع الدلالة في الخطاب القرآني، محمد نور الدين المنجد، دار الفكر، دمشق، ٢٠١١م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي، المعروف بأبي حيان الأندلسي تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- أسرار الحروف، أحمد زرقة، دار الحصاد، دمشق، ١٩٩٣م.
- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٥، ١٩٧٥م.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل المعروف بابن السراج النحوي تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الإعجاز البياني في القرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة ١٩٧١م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
- البحر المحيط، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي، المعروف بأبي حيان الأندلسي تحقيق: عبد الرازق مهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، دمشق، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، سلسلة التراث العربي، مطبعة الكويت.

- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: أغا برزك الطهراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلى محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، وعبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، دار هجر، القاهرة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- الجامع لأحكام القرآن والمبيِّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٦م.
- جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٧م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية القاهرة.
- خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق ١٩٩٨م.
- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، محمد آل ياسين، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٠م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٤.

- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، شهاب الدين الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢ ١٩٩٣م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح شهاب الدين عبد الحي بن أحمد المعروف بابن العماد الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٦م.
- شرح التسهيل، جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجياني الأندلسي المعروف بابن مالك، تحقيق عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، دار هجر، القاهرة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- شرح الرضي على الكافية، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، تحقيق: يوسف حسن عمر منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط٢، ١٩٩٦م.
- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، تحقيق: محمد نور الحسن، وآخرين دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- شرح ابن عقيل، أبو محمد بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل الشافعي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- شرح الكافية الشافية، جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجياني الأندلسي المعروف بابن مالك تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن على بن يعيش، عالم الكتب، بيروت.
- شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، زكريا الأنصاري، راجعه: أبو الحسن الكردي وعلق عليه: محمد صباغ، مكتبة الغزالي، مطبعة الشام، دمشق، ط٤، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- شرح الملوكي في التصريف، موفق الدين يعيش بن على بن يعيش، تحقيق: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

- شفاء العليل في إيضاح التسهيل، أبو عبد محمد بن عيسى السلسيلي، تحقيق: الشريف عبد الله الحسيني البركاتي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- طبقات المفسرين، شمس الدين محمد بن علي الداودي، تحقيق: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- علم الأصوات العام، بسام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٨٨م.
- علم اللغة العام الأصوات، كمال محمد بشر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهلال القاهرة.
- غاية النهاية في طبقات القراء، أبو الخير شمس الدين محمد بن علي المعروف بابن الجزري، تحقيق جوتهلف برجشتراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- الفروق اللغوية في العربية، على كاظم المشري، دار صفاء، عمان، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- فقه اللغة، على عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة، ط٣، ٢٠٠٤م.
- في الأصوات اللغوية، غالب المطلبي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٤م.
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- قاموس علم اللغة، محمود سليمان ياقوت، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٨م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلى معوض، مكتبة العبيكان، الرياض ١٩٩٨م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، شهاب الدين النجفي، دار إحياء التراث العربي بيروت.

- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٩٩٨م.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عُمر بن علي المعروف بابن عادل الحنبلي الدمشقي تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلى معوض، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم المعروف بابن منظور الإفريقي، دار صادر بيروت.
- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٩٤م.
- المحرر الوجيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: مجموعة من المحققين، مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الدوحة، ط٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيده المُرسي المعروف بابن سيده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، دار الشرق العربي، بيروت ط٣.
- المحيط في اللغة، الصاحب إسماعيل بن عباد، تحقيق: محمد آل ياسين، عالم الكتب بيروت، ١٩٩٤م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق على النجدي ناصف، وآخرين، دار سيزكين للطباعة، إسطنبول، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- مخارج الحروف وصفاتها، أبو الأصبغ السُماتي الإشبيلي المعروف بابن الطحان، تحقيق محمد يعقوب تركستاني، مركز الصف الإلكتروني، بيروت.
- المختصر في علم أصوات العربية، محمد جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٨، ٢٠١٤م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق محمد أحمد جاد المولى، وآخرين، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م.
- المساعد على تسهيل الفوائد، أبو محمد بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل الشافعي، تحقيق محمد كامل بركات، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م.
- معاني الأبنية في العربية، فاضل السامرائي، دار عمار، عمان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

- معاني القرآن، أبو إسحاق إبراهيم الزجاج، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٨م.
- معاني القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفرَّاء، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.
- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد جبل، مركز المربي، الرياض، ط٤ ٢٠١٩م.
- معجم الصوتيات، رشيد العبيدي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق، ٢٠٠٧م.
- معجم علم الأصوات، محمد علي الخولي، مطابع الفرزدق التجارية، القاهرة، ١٩٨٢م
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.
- المفتاح في الصرف، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجُرْجَانِيّ، تحقيق: علي توفيق الحمد مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧.
- مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق ١٩٧٩م.
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
- مقدمة لدرس لغة العرب، عبد الله العلايلي، المطبعة العصرية، القاهرة.
- المقرب، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي، المعروف بابن عصفور الإشبيلي تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢م.
- الممتع في التصريف، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي، المعروف بابن عصفور الإشبيلي تحقيق: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٦م.

- المنصف، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، وزارة المعارف، القاهرة، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م.
- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي فريتس كرنكو، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط٣.
- نزهة الطَّرْف في علم الصَّرْف، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مطبعة الجوائب القسطنطينية ١٢٩٩هـ.
- النشر في القراءات العشر، أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد الدمشقي المعروف بابن الجزري تحقيق على محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، وكالة المعارف الجليلة إسطنبول ١٩٥١م، أعادت نشره دار إحياء التراث العربي ببيروت.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي تحقيق: عبد السلام هارون، وعبد العال مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٢م.
- الوحشيات (الحماسة الصغرى)، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق: عبد العزيز الميمني الرجكوتي، دار المعارف، القاهرة، ط٣.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

Abstract

This research is directed to study phonetic substitution reality between consonants and vowels, based on controversial value of phonetic, and what resulted of it in multiple functions at the level of linguistic analysis, to show its effect in directing the meaning, also to Show the morphological and semantic differences resulting from the substitution, such as differences in meaning on the lexical level, and differences in morphological on the morphology level in certain grammatical form which is common with other forms in the same infrastructure.

Applying that in the light of traditional linguistics presented by the interpretation of Al-Durr Al-Masoun for Samin Al-Halabi, he who was aware of substitution and its impact, for he followed it on the level of readings, and the two different contexts.

also Revealing the accuracy of the language of the Qur'an in choosing the phonetics that formulated the words, and their suitability to the semantic content referred to, and their consistency with the context in which they are given, yet the statement of the expressive values that embrace the word in which it comes in the light of the Qur'anic context, so that if they were changed, this graphical structure would be disrupted.

as well confirming on principle established by the ancient linguists, which is the stronger sound accompanies the strongest meaning.